قلوب عبير

604

٦٠٤

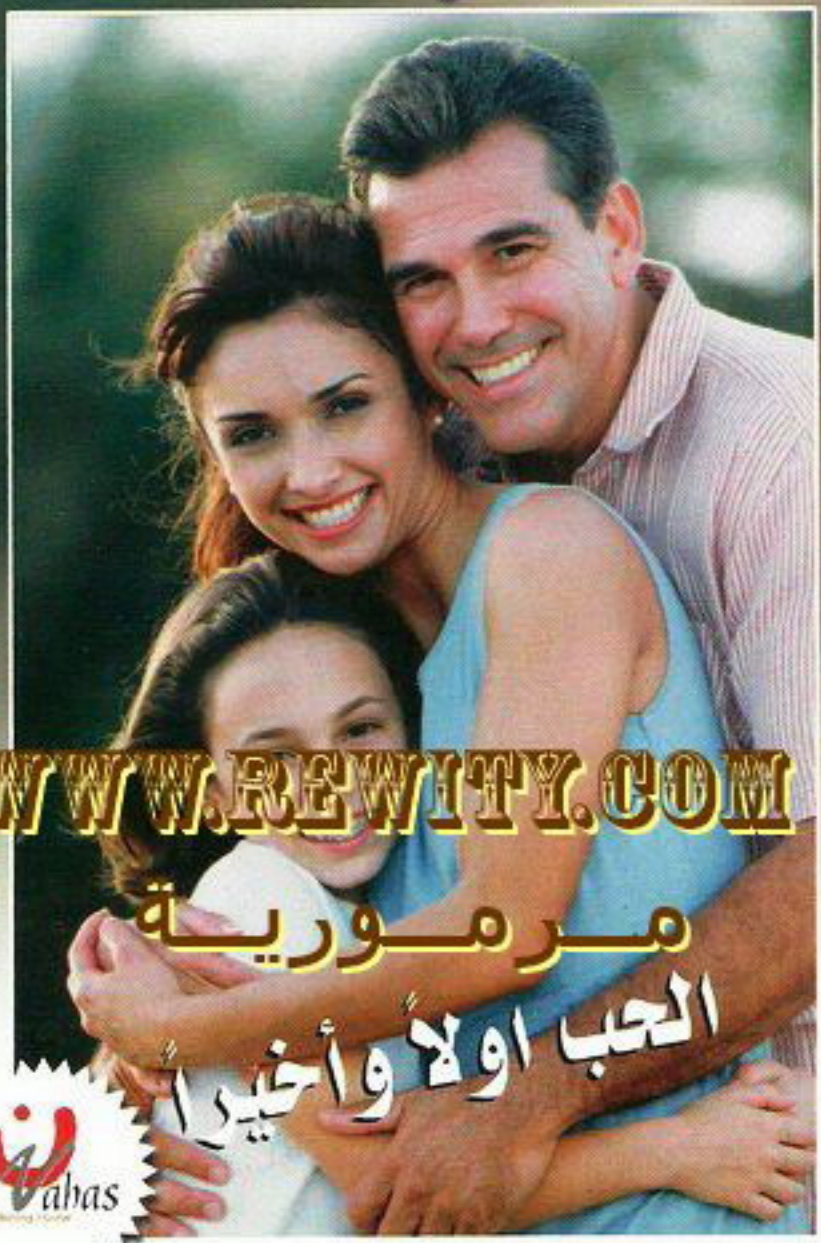

WWW.REWITY.COM

مرمورية

الحب أولاً وأخيراً

Nahas
Publishing House

صادر عن دار م. النحاس

الحب اولاً وأخيراً

حين رأت ميغان وجه طفل رضيع يحبو على يديه، وقد تلطخ وجهه بالشوكولا، تلاشت المناظر بأجمعها من أمام عينيها. كانت بيكا تقول شيئاً لم تفهمه ميغان. ذلك ان ذاكرتها قد عادت بها الى الماضي، ايام كلفتها كل ما في طاقتها لكي تستطيع تجاوزها... لقد خسرت الكثير.

WWW.REWITY.COM

لبنان: ٢٠٠٠ ل ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار -
قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١،٥ دينار -
المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار - مصر ٧ جنيه

52-87000-34708-2

الحب اولاً وأخيراً

«خالي سام. خالي سام، ما أكبر هذه الشاحنة.»
اجفلت ميغان لهذا الصوت الطفولي، بينما كانت طفلة ذهبية الشعر تندفع نحو المرج الاخضر لتلقي بنفسها بين ذراعي سام آرمسترونغ الذي حملها وهو يضحك، وشعرت ميغان بقلبها ينقبض وهي ترى إمارات السعادة على الرجل والطفلة معا...

الفصل الأول

أخذت ميغان ماكليستر تتأمل، من حيث كانت تقف في الطريق القصير المؤدي الى منزلها الجديد، ذلك الرجل الذي كان يسير متجها نحو الشارع.

وتنهدت جوان جاكوبس تاجرة العقارات والتي كانت تقف بجانبها، وهي تقول:«يا له من رجل. إنه أشهر رجل اعزب في المدينة. وهو يعيش هناك.» وأشارت الى المنزل القائم في نهاية المرج الاخضر. تملك ميغان الذعر وهي تدرك أنه سيكون جارها المباشر هذا بينما تابعت جوانا قائلة عندما اقترب الرجل من الطريق المؤدي الى بيتها. «سأعرفك عليه. مرحبا، يا سام.»

تباطأت خطواته، فانتظرت ميغان بينما كان هو يلوح بيده الى جوان محييا، ثم ينقل بصره بين السيارة المحملة وميغان، ليخرج بعد ذلك، منديلا من جيبه، فيمسح به جبينه ورقبته، بينما كان يتقدم نحوهما وابتسامة عريضة تكسو وجهه فتبدو غمازتان عميقتان في وجنتيه وغضون الضحك تحيط بعينين لم تر ميغان بعمق زرقتهما من قبل، وكذلك جاذبيتهما غير العادية، كانت ابتسامته جميلة وقد وجهها نحوها مباشرة.

قالت جوان:«أقدم إليك ميغان ماكليستر.» فمد يده الى ميغان يعرف بنفسه دون ان يحول نظره عنها:«سام أرمسترونغ.» وأشار الى السيارة المحملة. «يبدو انك بحاجة الى بعض المساعدة لنقل اشيائك تلك.»

«سيستقر بي الأمر حالما استعيد يدي.»
وكانت تشير بذلك الى يدها التي كانت ما تزال في قبضته، فاتسعت ابتسامته، وبدا الهزل في نظراته وهو يترك يدها بينما يقول مخاطبا جوان:«انك لم تذكري، يا جوان، ان لجارتك روحا فكاهية رائعة.»
كما ان جوان لم تذكر ان ميغان كانت بالغة الجاذبية. لم تكن تقاطيعي وجهها، متفرقة، ذات جمال غير عادي ولكنها، مجتمعة، كانت تبدو جميلة، كان شعرها البني القاتم، يبرز جمال وجنتيها واستقامة انفها وعينيها الواسعتين البنيتين، ما استحوذ على اهتمامه.
أعجبته لهجتها، فسألها قائلا:«ان لصوتك وقعاً مميزاً. هل انت من الساحل الشرقي؟»
فأومأت قائلة:«نعم، من بوسطن.»
«وما الذي جعلك تحضرين الى وسط الغرب، ميدوست؟»
فقالت:«وظيفة جديدة.» وشعرت بأنها تريد ان تخبره عن نفسها اكثر من ذلك... عن الأسباب التي جعلتها تهجر بيتها واصدقاءها، ولماذا كان عليها ان تبدأ من جديد، كان فيه شيء انبأها بأنه من ذلك النوع الذي بإمكان المرء ان يتخذه موضعا لثقته.
ولكنها لم تستطع، لقد حذرها قلبها من ذلك، ليس بإمكانها ان تضع ثقتها، مرة اخرى، لا فيه ولا في أي رجل آخر... ليس بعد كل ما حصل لها، لقد تغيرت الامور الآن بعد ان اصبحت في مدينة جديدة، وبيت جديد، وشركة جديدة تعمل فيها... ثم شخصية جديدة لها... نعم، لقد كانت عاهدت نفسها على هذا منذ اللحظة

التي ابتدأت تحزم فيها امتعتها، ذلك انها اصبحت الآن امرأة مختلفة تماما عن تلك المرأة الخالية البال السريعة الثقة بالآخرين، والتي كانتها منذ تسعة اشهر.
قالت:«الافضل ان افتح باب المنزل. فالشاحنة التي تنقل امتعتي ستكون هنا في أي لحظة، لقد سررت بمعرفتك يا سيد أرمسترونغ.»
فقال:«سام.»
«لا بأس يا سام. وأشكرك لعرض المساعدة.» وابتسمت له، سامحة لنفسها بشيء من اللين والتجاوز عن بعض حذرها، ولكن لفترة قصيرة جدا إذ عاد إليها الحذر، عليها ان تبقي نفسها بعيدة عنه، رغم انها احست بصعوبة ذلك بالنسبة الى هذا الرجل، وسارت الى الباب الامامي والمفاتيح في يدها، ففتحته ثم دخلت، تاركة إياه واقفا في شمس الربيع الدافئة.»
تمتم يقول وهو يراها تسير من نافذة الى اخرى:«انها امرأة غامضة، ما الذي تعرفينه عنها يا جوان؟»
«كل ما اعرف عنها، بجانب ما اخبرتك هي به، هو انها عزباء.»
«اهذا كل ما تعرفينه؟»
اجابت:«نعم.»
فألح عليها يقول:«هيا، تكلمي، انك افضل تاجرة عقارات في المنطقة، وبإمكانك ان تستخلصي المعلومات من أي شخص دون ان يشعر بذلك.»
فقالت:«ان هذه السيدة بالغة التحفظ، انني أسفة، ولكن عليك ان تعثر على ما تريد معرفته، بنفسك.»

WWW.REWITY.COM

واتجهت نحو سيارتها تاركة سام يمعن التفكير فيما يجب عليه ان يقوم به. انه يريد ان يعلم المزيد عن جارته الجديدة هذه، فقد أثار تحفظها فضوله، وأخيرا، صمم على ان يبدأ بأن يقدم لها المساعدة. فتوجه نحو صندوق سيارتها، ثم انزل اول صندوق.

اخذت ميغان تجيل النظر من نافذة المطبخ، حيث كانت واقفة امام حوض الغسيل، الى المروج الخضراء التي تحيط بمنزلها. كانت المنطقة حسنة بتلك المنازل التي كانت بنيت في السبعينات.

لقد أوحت إليها النظرة الأولى التي ألقتها على المنطقة هذه، شعورا بالأمان والهدوء، وحسب قول تاجرة العقارات، كانت ميغان في سن الثماني والعشرين، أصغر مالكة لمنزل في هذه النواحي، ولا بد ان سام أرمسترونغ هو التالي في هذا، فهو لا يبدو اكبر منها بأكثر من ثلاث او أربع سنوات، ولكنها سرعان ما تحولت عن التفكير به الى الجار خلف منزلها.

كان الرجل يغرس قسما من فنائه جاعلا منه حديقة للخضار المنزلية، ربما بإمكانها هي ان تقوم بعمل كهذا فلا تلقي بنفسها كليا في العمل، هذه المرة، ربما بإمكانها، هذه المرة، وفي هذا المكان، ان تستعيد اتزانها النفسي، وبالتالي تجد في حياتها شيئا من السعادة.

ولكن ماذا بإمكانها بالنسبة الى سام أرمسترونغ؟ ذلك انه كان في الطريقة التي خفق بها قلبها لابتسامته، كان في ذلك إشارة صريحة الى انها ستقع في غرامه، تماما كما كان حدث معها بالنسبة الى راندي، قائد فرقة

كرة القدم في المدرسة الثانوية، وبالنسبة الى مارك، سمسار البورصة ذي الكلام المعسول والقلب الحجري. ثم بعد ذلك أليكس، كان الاسوأ بين كل الرجال الذين اساءت اختيارهم.

جاءها صوت رجل يقول من عند عتبة الباب:«ان هذا الصندوق مكتوب عليه انه يحتوي على الاشياء المتعلقة بفن الرسم.»

فاستدارت لترى سام أرمسترونغ يحمل صندوقاً احضره من سيارتها، لقد كانت تركت باب صندوق السيارة مفتوحا ما جعله يعتبر ذلك دعوة منها له.

وعاد يقول:«اين تريدينني ان اضعه؟»

فأشارت الى المنضدة، ثم قالت بعد ان وضعه عليها:«اشكرك.»

وقبل ان تتلفظ بكلمة اخرى، سألها:«هل تحسنين الرسم؟»

وجدت نفسها تجيبه قائلة:«نعم، بعض الرسوم التخطيطية، وبالألوان المائية.»

«هل بعت منها شيئا؟»

فهزت رأسها نفيا، كيف بإمكانها ان تشرح له انها تجد في الرسم امرا خاصا بها، تجد فيه السلوى والمتعة والراحة؟

ألح عليها قائلا:«هل سبق وحاولت؟»

ضحكت وقالت:«كلا، ولكنني، عبر السنوات، وضعت بعضها في إطارات.»

فأومأ وكأنه يوافق على هذه الفكرة، وأدهشها الدفء

الذي شعرت به تجاهه. ودقت اجراس الإنذار في نفسها.
استدار نحو الباب قائلا:«سأحضر صندوقا آخر.»
فقالت راجية ان لا يكشف صوتها عما تشعر به من اضطراب:«كلا يا سام، اشكرك، يمكنني القيام بذلك بنفسي. انني متأكدة من ان لديك ما يشغلك.»
فقال:«ان الدقائق القليلة التي سيستغرقها إنزالنا لأمتعتك، لن تعطلني عن عملي.»
انزالنا؟ لم يكن من الحكمة قبول عونه لها.. فقالت:«ان تطوعك هو شهامة منك، ولكن...»
قاطعها:«ولكن يمكنك القيام بنفسك بذلك، كما سبق وقلت، ولكن هل بإمكانك حقا ان تحملي الصناديق على كتفيك؟»
اصرت قائلة:«سيحضر الرجال الذي سينقلون الامتعة قريبا، وسيساعدوني في انزالها من السيارة.»
امعن النظر فيها لحظة طويلة، لقد كانت تتحدث إليه بأدب، ولكنه احس، من وراء ذلك، بقلق في نفسها. أتراه كان ملحاحا؟
فقال:«حسنا، ان منزلي قريب، فإذا صادفتك أي مشكلة يمكنك ان تناديني.»
اومأت وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة، وعجب سام من لمحة ندم لاحت له في ابتسامتها للحظة وجيزة، ام أنه قد تخيل ذلك؟
ولكنه نفى هذه الخواطر من ذهنه وهو يتوجه عائداً من حيث أتى. وتبعته هي فوصلا الى الباب الأمامي في الوقت الذي وقفت فيه الشاحنة ونزل منها رجلان،

وقفا ينتظران السائق الذي كان يستدير بالسيارة.
قال لها سام بلطف:«سرعان ما ستستقرين بمساعدة هؤلاء الرجال.»
قالت:«اشكرك.» وتساءلت عما إذا بإمكانه ان يدرك انها كانت تعبر عن شيء آخر عدا عن الاعتراف بالجميل. ومن الغريب ان بدا عليه فهم رغبتها في عدم التقارب بينهما. لن يكون في امكانها ابدا ان تعبر له عن مقدار اعترافها بجميله هذا.
كانت تفكر في كل هذا بينما كان هو يهبط درجات مدخل منزلها، متجها نحو منزله. «خالي سام. خالي سام، ما أكبر هذه الشاحنة.»
اجفلت ميغان لهذا الصوت الطفولي، بينما كانت طفلة ذهبية الشعر تندفع نحو المرج الاخضر لتلقي بنفسها بين ذراعي سام أرمسترونغ الذي حملها وهو يضحك، وشعرت ميغان بقلبها ينقبض وهي ترى إمارات السعادة على الرجل والطفلة معا...
قال يمازح الطفلة:«عم تتكلمين؟ انني لا ارى أي شاحنة.»
فغرقت الطفلة في الضحك وهي تقول:«انها هناك ألا تراها؟» ثم اشارت الى ميغان سائلة:«من هذه؟»
أجاب:«انها جارتنا الجديدة، تعالي وتعرفي عليها.»
انزل الطفلة ثم قادها من يدها نحو ميغان، وبينما كانا يتقدمان نحوها، كانت ميغان تقلب هذه الكلمات في ذهنها جارتنا الجديدة؟ هل تعيش ابنة اخته معه؟
قال يخاطب الطفلة:«بيكا، هذه الآنسة ماكليستر.»

www.rewity.com

مدت الطفلة عنقها تتأمل ميغان، بينما جلست هذه على درجة مدخل بابها ما جعلها في موازاة الطفلة، هذا بينما وقفت الطفلة تنظر إليها متهيبة وقد وضعت يديها في جيبي سروالها وهي تقول:«مرحبا يا آنسة ماه... ماك...»

فقالت ميغان تساعدها:«ماكليستر، ولكن بإمكانك ان تدعيني باسم ميغان.»

«إن خالي سام يقول انه لا ينبغي علي أن...» ونظرت الى خالها.

فأخذ خالها يعبث بشعرها. وشعرت ميغان بما بينهما من حنان وعاطفة، فخفق لذلك قلبها، بينما كان هو يقول للطفلة:«لا بأس هذه المرة ما دام اسم ميغان الأخير صعب النطق عليك، وما دامت هي أذنت لك بذلك.»

ابتسمت الطفلة لها بخجل، فظهرت لها غمازتان لم تكونا بمثل عمق غمازتي خالها، كانت ملامحها متألقة ناضرة بعينيها الزرقاوين اللتين تشعان ذكاء وفضولا، وتاقت نفس ميغان لملامسة شعر الطفلة الجعد، والعبث بتلك الخصلات الرائعة.

قالت الطفلة:«انني في الخامسة من عمري واذهب الى روضة الاطفال.»

فقالت ميغان:«ما اجمل هذا.» وشعرت بدموع الشعور بالخسارة تكاد تطفر من عينيها، لقد قطعت نصف البلاد هاربة من ذكريات مثل هذه، ولكن يبدو انها جاءت معها في رحلتها هذه ليثيرها هذا الحديث القصير مع هذه الطفلة، وإذا بالألم يتجدد وكأنه بدأ من جديد.

سمعت صوت رجل أجش يسألها:«هل انت الآنسة ماكليستر؟»

فوقفت ميغان ببطء وهي تومىء للرجل، مجيبة:«نعم، بإمكانك ان تدخل الأمتعة الى المنزل عن طريق الكاراج. سأدخل انا اولا وأفتح لك الأبواب.»

فقال سام لبيكا:«هذه إشارة لنا بأن ذهابنا قد حان.»

وكان الرجل قد استدار عائداً الى الشاحنة.

عندما ابتعد سام والطفلة، سمعت ميغان بيكا تسأله عما يوجد في الشاحنة، وسمعت بعضاً من جواب سام.

وخلال الساعة التالية التي كانت ترشد فيها الحمالين الى حيث عليهم وضع الامتعة، كانت افكارها تعود دوما الى سام وابنة اخته، وما الذي جعل الطفلة تقيم معه، وكيف بدأ الاثنان في أتم راحة وصفاء معاً، وكيف أنه لم يكن يبدو عليه، وهو يتحدث الى الطفلة، اقل ضيق او ترفع.

وعدة مرات حاولت ميغان ان تصرف افكارها عن سام الى ما بين يديها من عمل في تنظيم الاثاث بين الغرف، ولكن افكارها تلك كانت تعود دوما الى سام والطفلة وما بينهما من مودة صافية وضحكات مشتركة، هل بإمكانها ان ترى طفلاً، فلا تهاجمها الذكريات؟

* * *

خرج سام من حيث كان يغتسل في الحمام ليتنشق رائحة شيء يطبخ.

خلال الستة اشهر التي ورث فيها مسؤولية ابنة اخته اليتيمة وأخيها الرضيع، خلال تلك المدة

مدت الطفلة عنقها تتأمل ميغان، بينما جلست هذه على درجة مدخل بابها ما جعلها في موازاة الطفلة، هذا بينما وقفت الطفلة تنظر إليها متهيبة وقد وضعت يديها في جيبي سروالها وهي تقول:«مرحبا يا آنسة ماه... ماك...»

فقالت ميغان تساعدها:«ماكليستر، ولكن بإمكانك ان تدعيني باسم ميغان.»

«إن خالي سام يقول انه لا ينبغي علي أن...» ونظرت الى خالها.

فأخذ خالها يعبث بشعرها، وشعرت ميغان بما بينهما من حنان وعاطفة، فخفق لذلك قلبها، بينما كان هو يقول للطفلة:«لا بأس هذه المرة ما دام اسم ميغان الأخير صعب النطق عليك، وما دامت هي أذنت لك بذلك.»

ابتسمت الطفلة لها بخجل، فظهرت لها غمازتان لم تكونا بمثل عمق غمازتي خالها، كانت ملامحها متألقة ناضرة بعينيها الزرقاوين اللتين تشعان ذكاء وفضولاً، وتاقت نفس ميغان لملامسة شعر الطفلة الجعد، والعبث بتلك الخصلات الرائعة.

قالت الطفلة:«انني في الخامسة من عمري واذهب الى روضة الاطفال.»

فقالت ميغان:«ما اجمل هذا.» وشعرت بدموع الشعور بالخسارة تكاد تطفر من عينيها، لقد قطعت نصف البلاد هاربة من ذكريات مثل هذه، ولكن يبدو انها جاءت معها في رحلتها هذه ليثيرها هذا الحديث القصير مع هذه الطفلة، وإذا بالألم يتجدد وكأنه بدأ من جديد.

سمعت صوت رجل أجش يسألها:«هل انت الآنسة ماكليستر؟»

فوقفت ميغان ببطء وهي تومىء للرجل، مجيبة:«نعم، بإمكانك ان تدخل الأمتعة الى المنزل عن طريق الكاراج. سأدخل انا اولاً وأفتح لك الأبواب.»

فقال سام لبيكا:«هذه إشارة لنا بأن ذهابنا قد حان.»

وكان الرجل قد استدار عائداً الى الشاحنة.

عندما ابتعد سام والطفلة، سمعت ميغان بيكا تسأله عما يوجد في الشاحنة، وسمعت بعضاً من جواب سام.

وخلال الساعة التالية التي كانت ترشد فيها الحمالين الى حيث عليهم وضع الامتعة، كانت افكارها تعود دوماً الى سام وابنة اخته، وما الذي جعل الطفلة تقيم معه، وكيف بدأ الاثنان في أتم راحة وصفاء معاً، وكيف أنه لم يكن يبدو عليه، وهو يتحدث الى الطفلة، اقل ضيق او ترفع.

وعدة مرات حاولت ميغان ان تصرف افكارها عن سام الى ما بين يديها من عمل في تنظيم الاثاث بين الغرف، ولكن افكارها تلك كانت تعود دوماً الى سام والطفلة وما بينهما من مودة صافية وضحكات مشتركة، هل بإمكانها ان ترى طفلاً، فلا تهاجمها الذكريات؟

* * *

خرج سام من حيث كان يغتسل في الحمام ليتنشق رائحة شيء يطبخ.

خلال الستة اشهر التي ورث فيها مسؤولية ابنة اخته اليتيمة وأخيها الرضيع، خلال تلك المدة

تعود التمييز بين مختلف انواع روائح الطعام. لقد تغيرت حياة سام بشكل ملحوظ بعد وصول الطفلين. ولم يكونوا جميعا قد تكيفوا بعد في حياتهم الجديدة ولكن الأمور بدأت بتحسن ملحوظ، كما اخذ يحدث نفسه وهو يسير نحو مصدر الرائحة في المطبخ، وقد لف رأسه بمنشفة.

كانت بيكا ومدبرة منزله ايمالين ترصان الكعك في الصينية، بينما برايان الذي كان في الشهر العاشر من عمره، يقرقع بملعقتين خشبيتين على الصينية المعدنية المتصلة بمقعده العالي، وعندما رأى الطفل خاله سام واقفا عند عتبة الباب، توقف عن إيقاعه المزدوج هذا. فمد سام يده يدغدغه تحت ذقنه قائلا:«يا لك من صبي، اتحدث كل هذه الضجة قبل الغداء؟»

قالت بيكا:«اننا نصنع كعكا لأجل ميغان.»

فوقف سام خلفها ينظر إليها وقد اخرجت لسانها اثناء تركيزها على عملها، فغمس اصبعه في المزيج، وهو يضحك، ثم وضعه في فمه.

قالت ايمالين بتأنيب لطيف:«دكتور ارمسترونغ. لقد عودت بيكا على استعمال الملعقة.»

فقالت بيكا ضاحكة:«عليك الان ان تعودي خالي سام. ايمكننا ان نأخذ الحلوى الى ميغان بعد الانتهاء منها مباشرة؟»

فقالت ايمالين وهي تضع الكعك في الفرن:«إذا كان هذا يناسب جدول اعمال خالك لهذا اليوم.»

فسألته بيكا:«ايمكننا ذلك؟»

اجاب:«لمَ لا؟ ليس لدي الكثير من العمل، اليوم.» هذا الى انه كان يريد ان يرى ميغان.

قالت إيمالين وهي تغلق باب الفرن ثم تستقيم واقفة:«اننا جميعا بحاجة الى عطلة نمرح فيها، أليس هذا ما تقوله انت دوما؟ لا تقلق، فقد ضاعفت كمية الكعك لكي تأكل انت والاطفال.»

وضع سام ذراعه حول كتفيها العريضتين وهو يقول:«انك كنز، يا ايمالين.»

فقالت وقد احمر وجهها:«هيا، ان اول دفعة من الكعك ستكون جاهزة بعد ربع ساعة، وهذا يترك لك وقتا كافيا تسرح فيه شعرك.»

فقالت بيكا:«وأنا ايضاً، اريدك ان تسرح لي شعري.»

فرفع حاجبه ناظرا الى شعرها، ذلك أنه لم يكن يحسن تسريحه عندما كانت تطلب منه ذلك في المناسبات الهامة. فكانت محاولاته في تخليص شعرها المتشابك من بعضه تجعلها تشكو وهي تتلوى ألما. ولكنها الآن، رغبة منها في زيارة ميغان، تبدو مستعدة لتحمل كل هذا.

خرجا بعد ذلك بنصف ساعة، يحملان الكعك، ليكتشفا ان ليس ثمة أثر للشاحنة ولا لسيارة ميغان، وعندما قرعا بابها لم يجب احد.

سألته بيكا:«أين تراها ذهبت؟»

اجاب:«لا أدري.»

لقد استغرق انتقالها الى المنزل اقل من ساعة، يبدو ان السيدة سريعة الحركة.

www.rewity.com

فقالت بيكا بصوت فيه شيء من الخوف:«وهل ستعود؟»
انحنى حتى اصبح في موازاتها ثم احتضنها وهو يقول مطمئناً:«نعم، انها ستعود، ربما ذهبت فقط الى محل تجاري.»
زمت بيكا شفتها السفلى استياء، وقالت:«ارجو ان لا تشتري كعكاً من هناك.»
فقال:«حسناً، حتى ولو اشترت كعكاً، فهو لن يكون بمثل جودة كعكنا هذا.»
قالت:«هذاصحيح. انا وايمالين نصنع احسن الكعك.»
قال:«هذا صحيح، دعينا الآن نعود الى المنزل لنتناول الغداء، ثم نعود فيما بعد لنرى إذا كانت ميغان قد عادت الى منزلها.»
«نعم، ولكنني احب ان اتناول غدائي في المدخل امام الباب.»
وبهذا، سيكون بإمكانها ان ترى ميغان عندما تعود، كما ادرك سام، وهو ينظر متأملا، وهو يفكر كيف ان بضعة دقائق مع ميغان قد اسرتها بهذا الشكل، ولكنه اعترف بأنه هو ايضاً وجد المرأة اكثر من مجرد عادية.
تساءل، وهو يساعد ايمالين في تهيئة غداء بيكا امام الباب، عما إذا كانت ميغان قد جاءت الى مدينة كنساس آملة في بداية جديدة لحياتها. احياناً يكون في هذا اول خطوة في طريق الشفاء، إذ يترك المريض خلفه المكان والاشخاص الذين كانوا السبب في ما حصل معه.
شعر بغضب جامح لفكرة ان هناك من سبب لها الألم، اخذ يمعن فكره في كل هذا، بعد الغداء. كان، بصفته

طبيباً نفسانياً، يحرص دوماً على ان يكون حيادياً مع مرضاه، ولكن الغريب انه لم يستطع ذلك بالنسبة إليها رغم أنه لم يتكلم معها سوى دقائق معدودات، وتملكته الحيرة من مشاعره، كان ثمة انجذاب... وكان فورياً وقوياً، رغم انه لم يجد ذلك معقولا.
لقد اعجبته جارته الجديدة وشعر بالرغبة في معرفتها. ولكن الشيء غير المعقول في ذلك، هو رغبته العنيفة في حمايتها، ومحاولة مسح آلامها، ليس بالطريقة التي يستعملها الطبيب النفساني مع مرضاه، ولكن بطريقة الصديق، كان ذلك يسبب له اجهاداً مضاعفاً كما كانت مشاعره تتدفق بسرعة جعلته يشعر بعدم الارتياح.
ايقظه من خواطره هذه، انغلاق الباب الأمامي بعنف، ليسمع وقع خطوات بيكا الخفيفة تتجه نحوه، وهي تهتف بلهفة:«لقد عادت ميغان.» وكانت الطفلة تحمل ورقة بيد، وقلماً في اليد الاخرى وهي تتابع:«سأحضر الكعك.»
فقال يوقفها عن الاندفاع خارج الغرفة:«ما هذا؟ ماذا تحملين في يدك؟»
فرفعت الورقة تريه إياها وهي تقول بزهو:«انها صورة لأجل ميغان.»
لأجل ميغان. ودهش وهو يشعر بألم بالغ الضآلة إذ يراها تشاركه ابداعات هذه الطفلة... وليس معنى هذا ان جدران غرفته لا يزينها العديد من هذه الصور... خمس عشرة صورة على الأقل، هذا الى الكثير على جوانب الدرج، واكثرها من أوائل ما كانت تصور. وكان عرضها يسبب لها الألم الشديد. لقد كان ذلك جزءاً

من علاجها، وسيلة لجعل الطفلة تتخلص من حزنها ومخاوفها، فما لم يكن بإمكانها التعبير عنه بالكلمات، يمكنها، احيانا، ان تضعه على الورق.

كان في هذه الصورة الاخيرة، سعادة وأشعة شمس، ولكنه كان يعلم ان بيكا مازالت هشة كثيرا. كان يرجو ان تتمكن من ميغان، وهي نفسها رسامة، من ان ترى جمالا في رسم منزلين غامضي المعالم وأربعة اشخاص يتكئون على العصا، وكلبا بثلاث سيقان.

قال لابنة أخيه:«هيا بنا، سنحضر الكعك ذاك.»

اندفعت الصغيرة في الممر متجهة نحو المطبخ حتى كادت تصطدم بإيمانين التي لاحت على شفتيها ابتسامة وهي تناول سام صحنا مليئا بالكعك.

عادت بيكا تركض مخترقة غرفة الجلوس نحو الباب الخارجي لتخرج منه بلمحة بصر وتبعها سام بخطوات اكثر هدوءا، وهو يتجنب الدوس على الاقلام الملونة المبعثرة على ارض الشرفة الخارجية، راجيا ان لا تكون رحلته هذه الى بيت ميغان فكرة سيئة. فقد كانت بيكا شديدة اللهفة، وكون ان ميغان تصرفت نحو بيكا بطيبة وعطف، لا يعني انها ترحب بصحبتهما. وجذب نفسا عميقا بينما كانت بيكا تمط قامتها نحو الجرس لتقرعه.

كان يدرك ان نوع استقبال ميغان لعرض الصداقة هذا منهما، يتوقف عليه الكثير من سعادة بيكا، لم يكن يريدها ان ترتدهما خائبين... وكانت اسبابه لذلك خاصة تماما. لقد ادرك ذلك فجأة، وتنفس

بعمق يهدىء بذلك من سكينة نفسه المتعكرة.

ما ان ثنت ميغان الملاءة حول زاوية فراش السرير حتى سمعت صوت جرس الباب، فاستقامت واقفة. محاولة ان تقنع نفسها بأنه جار آخر رأها فجأة وأتى يرحب بها، ولكن ما ان نظرت من خلال النافذة الصغيرة الموجودة في الباب الخارجي، حتى رأت سام واقفا هناك.

فتحت الباب وسمعت صوتا صغيرا يقول بلهفة:«لقد احضرنا كعكا.» فنظرت ميغان الى اسفل لترى بيكا واقفة بجانب خالها... طفلة ذات وجه بريء ضاحك مشرق بالأمل. وكان ثمة نمش منتشر على أنفها ووجنتيها.

رددت بغباء:«كعك؟»

«نعم، وقد رسمت صورة لأجلك.» ومدت لها يدها بالورقة المصورة.

بينما اخذت ميغان تحدق بالصورة، اخذ سام يراقب ما كان يرتسم على وجهها من مشاعر، فمن السرور الى الألم ومن ثم الى الذعر، لقد كان الانطباع الذي سبق وأخذه عنها، صحيحا، فقد كانت تألمت، وبشكل عنيف. وشعر برغبة في التسرية عنها، مزيجة برغبة بحماية ابنة اخته الصغيرة، ان بإمكانه ان يرى ان ميغان تعاني من مشاعر أثارتها في نفسها هذه الصورة ولكنه كان يشك في امكانه حمل بيكا على تفهم الوضع والتسامح فيما لو رفضت ميغان اخذ الصورة.

فقال:«ربما ليس لدى ميغان مكان تعلق فيه الصورة يا حبيبتي.»

سمعت ميغان كلمات سام، من خلال موجة المشاعر التي غمرتها... كانت كلمات قصد بها صون مشاعر الطفلة المرهفة، فانحدرت نظراتها لترى وجه بيكا الصغير قد ابتدأ يتغضن.

ووجدت نفسها تقول:«ان لدي مكاناً مناسباً تماماً لمثل هذه الصورة الجميلة.» لم يكن بإمكانها ان تدع الطفلة تتألم مهما يكن الثمن الذي سيدفعه قلبها لذلك، ورغم انه لم يكن في نيتها دعوة سام الى منزلها، فقد وجدت نفسها تقوم بذلك. وكانت تقنع نفسها بحزم، وهي تسير أمامهما الى المطبخ، بأن ذلك من اجل بيكا فقط. الصقوا الصورة على الثلاجة بلاصق كانت قد اخرجته من بين الامتعة لتوها.

قالت:«اشكرك يا بيكا، ان هذا بالضبط ما كان المطبخ بحاجة إليه.»

ما ان وضع سام صحن الكعك على المنضدة، حتى اخذ ينظر حوله، ليرى أنه لم يكن هناك مائدة ولا كراسي. كان هناك كرسي هزاز واحد في الطريق المؤدي الى غرفة الجلوس أجلست عليه دمية محشوة تمثل ارنبا اغبر اللون.

سألتها بيكا:«هل ذهبت الى الدكان؟»

أجابت ميغان مقطبة جبينها:«كلا، لماذا تسألين؟»

قال سام موضحا:«لأننا جئنا قبل الغداء ولم نجدك، فأخبرتها انك ربما ذهبت الى الدكان.»

«كنت اجري اتصالا هاتفيا اسأل عن سبب عدم وصول الكهرباء الى المنزل بعد، فقال انهم ضيعوا الطلب.»

فقال سام وقد ابتدأت خطة تتكون في ذهنه:«انك إذن من دون طاقة كهربائية. الى متى سيستمر هذا؟»

«حتى يوم الثلاثاء، انهم لا يعملون اثناء الإجازة الاسبوعية كما ان يوم الاثنين محجوز بأكمله.»

«إذن، ارى ان تتناولي العشاء معنا.»

فهتفت بيكا مشرقة الوجه:«نعم.»

قالت لبيكا برقة:«كلا، لا احب ان اثقل عليكم.»

فقطبت الصغيرة جبينها:«ما معنى هذا؟»

نظر سام الى ميغان، قائلا:«هذا هراء، لا يمكنك ان تطبخي كما انك لا يمكنك ان تحفظي الحليب الذي يغمس فيه الكعك، حيث ان الثلاجة لا طاقة فيها.»

فقالت بيكا:«نعم، عليك ان تغمسي الكعك بالحليب.»

عاد هو يقول:«تناولي العشاء معنا هذه الليلة.»

نظرت بيكا إليها متوسلة. ورأت ميغان نفسها قد ابتدأت تفقد السيطرة على الوضع. من تراها تخادع؟ لقد فقدت هذه السيطرة منذ رفعت بيكا إليها الرسم تريها إياه... وكانت الارض ثابتة تحت قدميها، الى ان نظرت الى تلك العينين الزرقاوين لهذه الطفلة ذات الخمس سنوات فإذا بالأرض تلك، تهتز.

انطلقت الكلمات من بين شفتيها قبل ان تتمكن من استعادتها:«لا بأس.» ولم يبق لها سوى الرجاء في ان لا تقودها خطاها هذه، في طريق الاحزان من جديد.

سمعت ميغان كلمات سام، من خلال موجة المشاعر التي غمرتها ... كانت كلمات قصد بها صون مشاعر الطفلة المرهفة. فانحدرت نظراتها لترى وجه بيكا الصغير قد ابتدأ يتغضن.

ووجدت نفسها تقول:«ان لدي مكاناً مناسباً تماماً لمثل هذه الصورة الجميلة.» لم يكن بإمكانها ان تدع الطفلة تتألم مهما يكن الثمن الذي سيدفعه قلبها لذلك، ورغم انه لم يكن في نيتها دعوة سام الى منزلها، فقد وجدت نفسها تقوم بذلك. وكانت تقنع نفسها بحزم، وهي تسير أمامهما الى المطبخ، بأن ذلك من اجل بيكا فقط. الصقوا الصورة على الثلاجة بلاصق كانت قد اخرجته من بين الامتعة لتوها.

قالت:« اشكرك يا بيكا، ان هذا بالضبط ما كان المطبخ بحاجة إليه.»

ما ان وضع سام صحن الكعك على المنضدة، حتى اخذ ينظر حوله، ليرى أنه لم يكن هناك مائدة ولا كراسي، كان هناك كرسي هزاز واحد في الطريق المؤدي الى غرفة الجلوس أجلست عليه دمية محشوة تمثل ارنبا اغبر اللون.

سألتها بيكا:«هل ذهبت الى الدكان؟»

أجابت ميغان مقطبة جبينها:«كلا. لماذا تسألين؟»

قال سام موضحا:«لأننا جئنا قبل الغداء ولم نجدك، فأخبرتها انك ربما ذهبت الى الدكان.»

«كنت اجري اتصالا هاتفيا اسأل عن سبب عدم وصول الكهرباء الى المنزل بعد، فقال انهم ضيعوا الطلب.»

فقال سام وقد ابتدأت خطة تتكون في ذهنه:«انك إذن من دون طاقة كهربائية. الى متى سيستمر هذا؟»

«حتى يوم الثلاثاء، انهم لا يعملون اثناء الإجازة الاسبوعية كما ان يوم الاثنين محجوز بأكمله.»

«إذن، ارى ان تتناولي العشاء معنا.»

فهتفت بيكا مشرقة الوجه:«نعم.»

قالت لبيكا برقة:«كلا، لا احب ان اثقل عليكم.»

فقطبت الصغيرة جبينها:«ما معنى هذا؟»

نظر سام الى ميغان، قائلا:«هذا هراء، لا يمكنك ان تطبخي كما انك لا يمكنك ان تحفظي الحليب الذي يغمس فيه الكعك، حيث ان الثلاجة لا طاقة فيها.»

فقالت بيكا:«نعم، عليك ان تغمسي الكعك بالحليب.»

عاد هو يقول:«تناولي العشاء معنا هذه الليلة.»

نظرت بيكا إليها متوسلة. ورأت ميغان نفسها قد ابتدأت تفقد السيطرة على الوضع. من تراها تخادع؟ لقد فقدت هذه السيطرة منذ رفعت بيكا إليها الرسم تريها إياه... وكانت الارض ثابتة تحت قدميها، الى ان نظرت الى تلك العينين الزرقاوين لهذه الطفلة ذات الخمس سنوات فإذا بالأرض تلك، تهتز.

انطلقت الكلمات من بين شفتيها قبل ان تتمكن من استعادتها:«لا بأس.» ولم يبق لها سوى الرجاء في ان لا تقودها خطاها هذه، في طريق الاحزان من جديد.

الفصل الثاني

كانت ميغان تسير نحو منزل سام، وهي تحاول تعنيف نفسها مما يدور في ذهنها من مشاعر. لقد كانت هدفاً سهلاً لجاذبيته.

كان معظم السبب في انجذابها نحوه، التفهم الذي رأته فيه، ومراعاته لمشاعر الآخرين كما رأت من إحضاره لها كعكاً ثم دعوته لها لتناول العشاء في بيته. لقد كانت تشعر بعجز بالغ وهي ترى نفسها وحيدة في هذه المدينة الجديدة. لقد انتقلت الى هنا آملة في ان تجد من السعادة ما يملأ فراغ حياتها، وقد ابتدأت فعلاً بذلك ولهذا لن تسمح لشيء بأن يعرّض انجازها هذا للخطر.

لقد حاولت، بعد تركه لمنزلها ان تجد سبباً معقولاً تستند إليه في قبولها عرضه هذا، ولكن الحقيقة هي انها تريد ان تكون معهما. فقد طالت وحدتها.

كان في دعوته لها الى العشاء شهامة الجار.

رأتها بيكا وهي تصعد درجات منزلهم الخشبية، فصرخت وهي تندفع داخلة الى المنزل:«ميغان هنا.»

ابتسمت ميغان لحماس الطفلة هذا، ولكنها وهي ترى نفسها في هذا المنزل، ترددت خطواتها. ذلك انها ادركت الآن انها لم تكن تريد في قدومها الى هنا، سوى رؤيته مرة أخرى، ولكن قبل ان تتردد فتعود ادراجها هاربة، كانت بيكا قد امسكت بيدها تجرها داخلة بها المنزل.

كانت غرفة الجلوس فسيحة ذات طابع رجالي، ولكن كانت هنا وهناك اشياء تخص الاطفال... فهنا كرسي صغير ومنضدة بعثرت عليها كتب الاطفال، وفي الزاوية صندوق طافح بالالعاب. وعلى أريكة هناك، كانت دمية ذات جدائل شقراء.

دخل سام وفي يده منشفة المطبخ يمسح بها يديه، وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة ترحيب دافئة برزت معها غمازتاه.

ادركت ميغان ان عليها ان تستدير نحو الباب، هاربة، ولكن قبضة بيكا القوية سمرتها مكانها. بينما تبددت إرادتها إزاء ابتسامة سام.

قالت بيكا وهي تغرق بالضحك:«خالي سام يطهو العشاء. والمطبخ الآن غارق في الفوضى، ومن حسن الحظ ان ايمالين ليست هنا لترى ذلك.»

فعبس سام في وجهها هازلاً:«ليس من المفروض ان تخبريها.»

فعادت بيكا الى الضحك، بينما ضحكت ميغان وهي تسأل:«من هي ايمالين؟»

اجاب سام:«انها مدبرة منزلي، وهي الليلة في إجازة.»

«وأنت الذي يعمل مكانها؟» وابتسمت لفكرة انشغاله في المطبخ طاهياً العشاء لها ولإبنة أخته. كيف يكون الأمر لو ان هذا المشهد يصافح بصرها في بيتها كل ليلة؟ مزيجاً بالدفء والترحيب؟ وتساءلت عما إذا كان هذا سيحدث لها يوماً من الأيام. ثم ان بوجه مستدير لطفل رضيع يحبو على يديه وركبتيه وقد تلطخ وجهه

بالشوكولا. كان شعره بنياً ناعماً، بينما عيناه الزرقاوان الكبيرتان تنظران الى ميغان باهتمام وهو يثرثر بمرح. تلاشت المناظر بأجمعها من أمام عيني ميغان اللتين شردتا. كانت بيكا تقول شيئاً لم تفهمه ميغان. ذلك ان ذاكرتها قد عادت بها الى الماضي، الى أيام كانت اكثرها لا يمكن احتمالها. ايام كلفتها كل ما في طاقتها لكي تستطيع تجاوز تلك الأيام والليالي التعسة... لقد خسرت الكثير. وحاولت ان تلقي بالماضي خلف ظهرها، ولكنها لم تنجح الى الدرجة التي كانت تتوقعها.

توقفت بيكا اثناء تقديمها برايان لميغان ورفعت بصرها إليها، وأدرك سام ان ميغان لم تسمع كلمة مما قالت بيكا لها. كانت تحدق الى برايان وقد شحب وجهها وفاضت عيناها بالألم. لقد تحول ذلك الاهتمام وتلك الجاذبية اللتان كان لاحظهما لحظة دخولها. الى ألم وعذاب. كل المشاعر التي تملكتها ظهرت على وجهها وفي عينيها الجميلتين.

تقدم نحوها يخاطبها: «ميغان.»

لم تجب. وبدا عليها وكأنها ستندفع هاربة من الباب، انه لا يريد ان يجعلها تقوم بذلك، ولكن كيف بإمكانه منعها؟ شعر وهو يراها تتألم، بعجز كلي.

«بيكا، خذي برايان الى غرفته وحاولي ان تلهيه بلعبة ما...»

ولا بد ان بيكا قد شعرت بانشغال بال سام. فهبطت على يديها وركبتيها وأخذت تغري برايان بالذهاب معها الى غرفته.

«ما هذا يا ميغان؟» وقف امامها منتظراً ان تراه. كانت عيناها تائهتين وكأنها كانت ضائعة بين ذكريات تعسة. تابع قائلاً بمزيد من الحدة: «ميغان.»

فاخترقت حدة صوته ذكرياتها تلك، فأدركت ميغان ارتباكها لرؤية الطفل. كان كل ما استطاعت التفكير فيه هو جوي... طفلها... طفلها الذي لم يكتب لها ان تحمله بين ذراعيها قط... كم كان هشاً وضئيلاً... ورائع الجمال، لقد كانت حياته قصيرة جداً.

رأت الاهتمام مرتسماً على ملامح سام ولكن لم يكن بإمكانها ان تخبره عن خسارتها الفادحة، تلك ولا البقاء للعشاء. ليس هذه المرة على كل حال ذلك انه ليس بإمكانها الصبر على ما يثير ذكرياتها. وهكذا ألقت باعتذار مختنق، وهي تندفع خارجة من الباب.

فتصاعد من بين شفتيه شتيمة خافتة. ليس بإمكانه ان يدعها تذهب.... خصوصاً وألمها كان واضحاً. ان عليه ان يقوم بشيء ما... إنما ما هو هذا الشيء؟ لم تكن لديه فكرة من اين يبدأ.

دخلت بيكا غرفة الجلوس وخلفها برايان على بعد خطوات. وما ان انغلق الباب خلف ميغان، حتى رفعت بصرها الى سام وقد بان على وجهها الحيرة والألم.

سألته: «الى أين ذهبت ميغان؟»

فقال وهو يتخلل شعره بأصابعه: «ذهبت الى بيتها، انها تشعر بوعكة.» حمل الطفل وسار به الى غرفة الجلوس حيث وضعه في مقعده وهو يقول للصغير: «هل يمكنك البقاء بجانب برايان ومراقبته الى ان أذهب فأطمئن على ميغان؟»

فأومأت برأسها قائلة:«نعم، وسألاعبه حتى لا يبكي.»
«هذا حسن، شكراً.»
اندفع خلف ميغان، فلحق بها عند بابها. وكانت الدموع تغسل وجنتيها وهي تحاول إدخال المفتاح في الباب فأمسك بيدها، فقالت:«ارجوك يا سام... دعني فقط...»
«كلا، فأنا اريد ان اعرف ما هناك.» لم يكن مسؤولاً عنها إذ هي لم تسأله المعونة، ولكنه كان يريد ان يعلم سبب هربها منه. اخذ المفتاح من يدها المرتجفة، وفتح الباب ثم اشار لها الى غرفة الجلوس.
وقفت في وسط الغرفة وقد عقدت ذراعيها فوق صدرها بينما الدموع تغسل وجهها.
قال لها برفق:«حدثيني عن أمرك.»
فهزت رأسها وهي تشهق، لم تستطع ان ترى عينيه بوضوح، ولكنها سمعت لهجة الاهتمام في صوته. كانت بحاجة الى ذلك الاهتمام. الى من يهتم بها كل تلك الأيام والليالي المليئة بالآلام والاحزان لما فقدته ولما لن يكون بإمكانها الحصول عليه. كان من السهل عليها ان تسلم بالأمر، ولكن الحكمة كانت تحول بينها وبين ذلك. ألم تتعلم ان من يعطي الحب يستطيع ايضا ان يستعيده ويرحل؟ ان تخبر سام عن ماضيها يعني ان تقرّبه منها... ان تدع نفسها معرضة للألم.
قال سام بحدة:«ان بيكا بحاجة الى ان تفهم سبب هروبك، فهي تحبك كثيراً. وما حدث سيؤلمها الى حد كبير.»
«إنني أسفة...»

فتنهد قائلاً:«الأسف وحده لا يكفي.» رقّ صوته وهو يتابع قائلا:«ميغان، لقد فقدت بيكا والديها، منذ ستة اشهر بحادث سيارة.»
فشهقت ميغان. ها ان بيكا عرفت ما هي الخسارة مثلها تماما... وفي مثل سنها الحدث هذا. ان تخسر والديها... كان في إدراكها مدى آلام هذه الصغيرة ما جعلها ترتعش ويزيد من آلامها.
ما كان لها ان تقبل دعوة العشاء هذه، ولكنها لم تستطع رفضها. كانت تريد ان تجلس مع سام وابنة أخته. وكانت نتيجة ذلك ان سببت لتلك الطفلة ألما إضافة الى ما سبق وعانته.
سألته:«والطفل؟»
«إنه أخو بيكا، لماذا ساءتك رؤيته الى هذا الحد؟» ألقى عليها هذا السؤال رغم شعوره بأنه يعرف الجواب.
عندما لم تجب، سألها بلطف:«هل كنت فقدت طفلا؟»
فأومأت برأسها، وبدا كما لو انها كانت تتوسل إليه ان يترك الأمر عند هذا الحد وان هذا كل ما بإمكانها ان تبوح به. إنما بعد ان وضع في يدها منديلا تدفقت الدموع من عينيها وهي تقول:«لو أنه بقي على قيد الحياة، لكان في مثل سن برايان، فقد ولد قبل أوانه بعشرة اسابيع.» قبل أوانه بكثير. إنه لن يضحك ابداً، ولن يبكي مرة اخرى. إنها لن تضمه الى صدرها ابداً ولن تهدهده لكي ينام او تسير به في ارض الغرفة في الليل.
«آه، يا ميغان...» لم تكن الكلمات وافية، ولكنه لم يستطع

ان يقول شيئاً آخر... فقد شعر بغصة في حلقه، وفي قلبه إذ يدرك ما سبق وعانته.

قالت بصوت متهدج:«كان جوي ضئيل الحجم، لم تكن رئتاه مكتملتي النمو. لقد جربوا معه كل شيء وكانت الأنابيب مغروسة في كل مكان في جسمه الصغير.»

تنهد سام حين توقفت شهقاتها:«ميغان. يا ليتني كنت أعلم.»

«ما الذي كان بإمكاك ان تفعل؟»

فشعرت به يهز كتفيه قائلا:«لا أدري. ربما كنت سأعدك لهذا، على الأقل.»

منذ فقدها لطفلها وهي تتجنب رؤية أي طفل سواء كان رضيعاً أم يحبو. أما الاطفال الأكبر، فكانت تجد صعوبة بالغة في رؤيتهم او التعامل معهم. ولكن رؤيتها لبرايان الذي كان في مثل سن طفلها اربكها وأعاد الذكريات إليها.

«انني آسفة يا سام. ولكن ليس بإمكاني تناول العشاء معكم.»

كان سام متفهماً لمشاعرها،ولكنه مع هذا، لم يستطع ان يذهب تاركا إياها في مثل هذه المعاناة. لا يمكنه ان يذهب. لقد كانت رغم ضعفها وهشاشتها، قوية قادرة على الاحتمال. إنه يشعر بانجذاب نحوها لا يدري الى أين سيقوده... ولكنه كان يسير في ذلك بشكل لا إرادي.

ابتدأ يقول:«سنتمكن من التحدث غداً...»

اجابته:«كلا.» كان هناك اسباب كثيرة... منها واحد ليس بإمكانها ان تخبره عنه.

شعر سام بالقلق لرفضها الحازم هذا، فقال بحذر:«إنك بحاجة الى التحدث الى شخص ما. انني ادرك انك ربما لا تشعرين معي براحة تامة... ولكن بإمكاني ان اعطيك اسماء عدد من زملائي...»

«من زملائك؟»

«انني طبيب نفساني.» وسكت محاولاً رؤية رد الفعل عندها تجاه مهنته هذه، وقطبت جبينها. أهي علامة سيئة؟ لم يكن متأكدا، ولكنه تابع:«كنت أفكر فيما لو كنت تريدين التحدث الى شخص ما... حسنا، ما دمت حديثة العهد في مدينة كنساس هذه، فربما لا تعرفين احداً لتذهبي إليه. لقد كنت إنا بحاجة الى شخص ما لأجل بيكا ولأجل نفسي ايضا.»

«لأجل نفسك؟»

فأومأ يجيبها:«نعم، ان والدة بيكا كانت شقيقتي، وكانت أصغر مني بخمس سنوات، وهكذا كنت اشملها دوماً برعايتي في مرحلة نموّنا، كما ان زوجها كان صديقاً حميما لي.»

فقالت بهدوء:«لا بد ان فقدهما معاً في وقت واحد كان فاجعة كبرى بالنسبة إليك.»

«نعم. احيانا تكون الحياة في منتهى القسوة. لا أفهم كيف تنتهي حياة شخصين طيبين متحابين، بهذا الشكل.»

«ولا حياة الأطفال الأبرياء.»

«نعم. ان خسارة كهذه لا يستطيع ان يتحملها احد، ولكن... حسنا سأعطيك إذا شئت، عناوين بعض

اصدقائي ممن بإمكانهم ان يساعدوك على اجتياز المحنة.»

هزت رأسها نفياً فقال:«قولي إنك ستفكرين في ذلك، على الأقل.» إذا كان هذا كل ما بإمكانها ان تعطيه الآن فسيحاول ان يقبل به راضياً، محاولاً ان يتوقف عن الشعور بالقلق لأجلها.

كان أول ما تبادل الى ذهن ميغان، هو الرفض كما سبق ورفضت رؤية مثل هؤلاء الاطباء في بوسطن. لم تستطع ان تتكلم عن السبب الذي جعل ابنها يولد قبل أوانه. موت جوي وما تبع ذلك... جنازته... طلاقها، العملية... كل ما كانت تطلبه هو ان تترك بمفردها. ولكنها جاءت الى هنا لكي تشفي جراحها.

«لا بأس. سأفكر في الأمر. عليك ان تعود الى أسرتك.»

أسرة؟ انها لن تحصل على أسرة خاصة بها ابداً لن يستطيع احد ان يدرك كم تحطمها هذه الفكرة.

فقال ببطء:«ربما انت على حق. ان بيكا سيتملكها القلق.»

فسألته:«ما الذي ستقوله لها بشأني؟»

اجاب:«الحقيقة. وهي ستفهم الوضع.»

اومأت برأسها. ان الرجل يتصرف بشكل رائع، فهو متفهم كريم النفس، كانت تفكر في هذا وهي تسير معه نحو الباب ثم تغلقه خلفه. كان أروع من ان يكون حقيقياً. وشيء كهذا لا يمكن ان يدوم.

اسندت ظهرها الى الباب قبل ان تدرك ان منديل سام

ما يزال في يدها، وهذا بشير بأن ما حدث بينهما لم ينته.

انها ستراه مرة اخرى، كيف بإمكانها مواجهة ذلك؟ كيف بإمكانها تجاهل انجذابها إليه؟

اخذت تجفف دموعها بالمنديل لتشعر، بعد ذلك، بروعة ما شعرت به من راحة وهو يمسك بها، لقد خفف ذلك، حالياً على الأقل، مما تشعر به من ألم وحزن، وشعور بالوحدة والفراغ.

وخلال كل ذلك، كانت تشعر بأنه مصمم على ألا يدعها ترحل، ولكن لم يعد أي شيء من هذا يشعرها بالسعادة، بعد الآن، فقد دفنت تلك المشاعر مع طفلها.

بقيت هذه الذكرى في خيالها وهي تجلس على الكرسي الهزاز، محتضنة الأرنب الرمادي الى صدرها. وأخذت تنظر من النافذة الى اضواء الشارع وهو يشتعل واحداً بعد الآخر. وفي كل واحدة منها، كان ثمة وعد بأن الحياة تتجدد يوماً بعد يوم.

* * *

في عصر اليوم التالي، عادت ميغان الى بيتها بعد ان امضت فترة في السوق إشترت فيها بعض الضروريات، من اطعمة لا تحتاج الى الحفظ في ثلاجة وذلك الى حين تحويل الطاقة الكهربائية الى منزلها نهار الثلاثاء، وبعض الوسائد لأريكة غرفة الطعام، فقد كانت هذه مكانها المفضل في المنزل.

عندما دخلت الطريق المؤدي الى المنزل، شاهدت بيكا

تسير الهوينا في المرج المؤدي الى بيتها، وفي يدها صندوق، فأبطأت ميغان من سير السيارة، ثم تنفست بعمق. كانت تعرف ان هذه اللحظة آتية لا شك فيها. ولكنها مازالت غير مستعدة لمواجهة الفتاة الصغيرة. ماذا بإمكانها ان تقول لبيكا؟ الحق مع سام، ان كلمة آسفة لا تكفي احيانا.

أدخلت السيارة الى الكاراج، ثم تنفست بعمق مرة اخرى، وهي تخرج لملاقاة الصغيرة، وإذ نظرت بيكا إليها بجد شعرت ميغان بأنها ستكون افضل حالا لو ان الصغيرة عادت تضحك وتمرح من جديد.

قالت:«بيكا، انني شديدة الأسف بالنسبة لليلة الماضية.»

فأجابت الطفلة:«لا بأس، لقد اوضح لي خالي سام الأمر.» ومدت يدها بالصندوق الى ميغان، وتابعت:«إنه يحوي اوراقا وأقلاما ملونة.»

فشعرت ميغان بسرور داخلي بعد ان علمت بأنها لم تثبط من عزيمة الطفلة تماما. كان هذا يعني الكثير بالنسبة إليها. ذلك انها شعرت برباط يشدها إليها منذ علمت بأنها فقدت والديها... كان رباطا لم تشعر بمثله بينها وبين أحد آخر، منذ شهور.

سألتها ميغان:«هل رسمت صورة أخرى لثلاجتي؟»

«إن هذا لك لكي ترسمي انت صورا.»

«أنا؟»

فأومأت الطفلة:«عندما توفيت والدتي ووالدي، كنت شديدة الخوف والحزن، فعلمني خالي سام كيف أرسم صورا عن كل ذلك.»

«ترسمين عن ذلك؟» وانحبست انفاس ميغان، كيف ستتمكن من تخطيط موت طفلها وما تلا ذلك؟

اومأت بيكا مرة اخرى:«يقول خالي سام انني إذا رسمت الاشياء المخيفة والمحزنة، فذلك يخفف عني، وهذا ما حدث لي فعلا.»

عجبت ميغان لهذه العلاقة الرائعة بين بيكا وخالها، كان لديه أحزانه هو الآخر، مثل إبنة أخته. هذا بالإضافة الى ان دخول طفلين في حياته كرجل اعزب، لم يكن بالأمر السهل، ولكنه استطاع تدبير الأمور بشكل ما وبنتيجة ممتازة.

تمنت ميغان لو كان لديها احد، هي ايضاً، يساعدها في محنتها. ذلك ان والديها لم يتفهما ما كانت تعاني، لقد انهار عالمها حولها، ولكنهما توقعا منها ان تلملم شتات نفسها، ثم تتابع حياتها وكأنما لم يحدث لها شيء.

تابعت بيكا:«على كل حال، فكرت في أنه لو لم يكن لديك ورق وأقلام، فبإمكانك ان تستعملي ما عندي ان لديّ الكثير.»

اخذت ميغان تحدق فيها. لم يترك عمل أي شخص آخر في نفسها أثراً يماثل الأثر الذي تركته لمسة الحنان والإهتمام هذه... إذ تأتي فتاة صغيرة لتقدم إليها العون والسلوى، بينما هي نفسها تعاني من ألم فقدان والديها. لقد حاول آخرون ذلك معها، ولكنها اغلقت قلبها دونهم. حتى والديها. فكيف استطاعت بيكا ان تخترق الحواجز؟

حاولت ميغان ان تعبر عن شكرها، بالكلمات، ولكن

غصة في حلقها منعتها من ذلك، وإذا بصوت سام يأتي من الباب الخلفي لمنزله ينادي بيكا، بينما كان بكاء برايان يتصاعد من خلفه.

فهزت الفتاة كتفيها:«علَيّ ان أذهب، فيوم الأحد هو إجازة ايمالين، وبرايان يبكي دوما. خالي يقول انه في طور التسنين الى اللقاء.»

ابتعدت بيكا تاركة ميغان وحدها في الفناء، حاملة صندوق الأقلام والورق.

ما الذي ستفعله بالنسبة الى الطفلة؟ انها لا تستطيع ان تنكر دخولها الى قلبها، ولم تكن ميغان تريد ان تؤلمها، ولكن رؤيتها للطفلة، تعني رؤيتها لسام.

ماذا سيحدث لها إذا انتهت علاقتهما؟ كانت تتساءل عن ذلك وهي تنقل مشترياتها الى داخل المنزل، كلا، انها لن تستطيع المخاطرة مرة اخرى، فقد كانت قررت، عندما تركت بوسطن، ان تبتعد عن أي ارتباطات اخرى.

لم تشأ ان تسكن مرة اخرى، في شقة من طراز شقق العازبين وذلك للاقلال، قدر الإستطاعة، من فرص تكرار نفس الاخطاء. كان هذا اول ما فكرت فيه، ولكن كان عليها ان تدرك ان شراء منزل خاص يعني انه سيكون لها جيران لديهم اطفال ستراهم اثناء لعبهم خارج منازلهم، وتسمع اصواتهم.

وبينما كانت تضع المشتريات في أماكنها،اخذت تفكر في البحث عن منزل آخر، ان بإمكانها ان تؤجر هذا المنزل شهريا. وسيكون في هذا استثمار جيد لنقودها. ولكن، لن يكون في امكانها الهرب دائما، وعندما وضعت

الوسائد على الاريكة، علمت ان هذا المكان هو بيتها الآن.

وهكذاجلست تنظر من النافذة الى المنازل وظلال شجر السنديان، والى المروج الخضراء الخصبة، ان السكون والأمان يخيمان على هذا المكان، لقد شعرت بذلك في نفس اللحظة التي أرتها بها جوان هذا المنزل.

لقد مكثت وقتا طويلاً هاربة في البلاد، وآن لها ان تستقر، ان تجد وقتا تبني فيه مستقبلها، وستبدأ بانشاء حديقة، نعم ان هذه الفكرة تخفف من العبء الذي تحمله، انها ستذرع البذور وتراقب مراحل نموها. ليس الخضار فقط بل الأزهار ايضا. ان المنزل بحاجة الى أزهار، وورود ايضا، وربما ليس امام المنزل فقط بل خلفه ايضا على طول السياج.

ان بإمكانها ان تجد هنا نوعاً من الاطمئنان، رغم ان في جوارها يوجد اكثر الرجال الذي عرفتهم جاذبية، وأسرته الصغيرة، الى كل مشاعر الألم والفراغ الذي يجلبه رؤيتها لأطفال يلعبون.

وفي حمام منزلها، وضعت ميغان صندوقاً ثم اخرجت منه رزمة من الورق... رسومات بألوان مائية، وأغاني اطفال بسيطة وكتاب اطفال عن الكلاب والقطط والألوان. كانت هناك اشياء اخرى ولكن هذه كانت مختاراتها، كانت قد صنعتها لطفلها... لجوي. وهو لن يراها ابداً، ولن يجلس قط على ركبتها ليشير بإصبعه الى الصور.

كانت احلامها كثيرة إنما لم يتحقق واحد منها، وقد حان الوقت للتحرر من حزنها وانشاء حياة جديدة لنفسها، انها ستحول ابداعاتها في هذا الاتجاه، فترسم صوراً

بالألوان المائية لغرفة الطعام. وتنشىء حديقة يحسدها عليها كل مزارع.

وجدت في الداخل حقيبة وردية جميلة بداخلها بعض مناديل الورق. فوضعت الكتاب في داخلها مع بطاقة كتبت عليها: الى بيكا، من ميغان.

حملت الحقيبة بيدها. وتوجهت مترددة نحو منزل سام، ثم صعدت درجات شرفة الباب. كان برايان ما يزال ينّن باكياً بهدوء، ولم تستطع ميغان المخاطرة برؤية الطفل مرة اخرى، او بيكا، او سام. خصوصاً سام الذي أمضت الليل متشوقة الى سماع كلماته المواسية.

سمعت صوت سام العميق يشدو للطفل، وتصورته يحمل الطفل... رائع الجاذبية، وبمنظره ذاك، ورقة صوته الغني النبرات... ستضيع حتماً.

علقت الحقيبة بصندوق البريد، ثم عادت الى منزلها لتبدأ حياتها من جديد.

الفصل الثالث

تنهد سام وهو يملأ لنفسه كوب عصير، ثم يتوجه به نحو غرفة الجلوس حيث تمدد على الاريكة بعد ان خلع حذاءه، ثم شمل ما حوله من فوضى، بنظرته، كانت لعب برايان متناثرة في كل مكان، هنا وفي غرفة الطفل وذلك بحثاً عما يلهي ذهن الطفل المسكين عن آلام لثته ولو للحظة، لترتاح أذناه من صوت بكائه. ولكن لا شيء استطاع ان يسكت الطفل.

وعلى شاشة التلفاز، كانت النشرة الجوية تتحدث عن الجو الرائع الذي لم تتح لسام فرصة ليلاحظه، لم تتح له فرصة ينظف فيها المطبخ، حتى لم تتح له فرصة يلقي فيها بنظرة على الصحيفة، لقد كان يأمل في ان يضع برايان في مقعده، في فناء المنزل الخلفي، مع بيكا لمدة نصف ساعة فقط يتمكن فيها من تشذيب الحشائش في الفناء، ولكن هذا ايضاً لم يحدث. كما أنه لم يستطع ان يجعل الطفل يأخذ غفوته المعتادة بعد الظهر.

ان الطفلين في الفراش الآن، لقد ذهب للاطمئنان عليهما منذ برهة فوجدهما نائمين، بيكا تغطي نفسها حتى ذقنها ببطانيتها المفضلة والطفل واضعاً اصبعه في فمه، ولكن لم يكن ثمة ما يضمن بقاء هذا الوضع طوال الليل، ذلك إن بيكا كانت ما تزال تراودها الاحلام المزعجة احياناً... كما ان برايان... في مرحلة التسنين.

في أيام كهذه، كان يفتقد أخته نانسي وزوجها جيف

اكثر من العادة، خصوصاً نانسي. انه يفتقد تلك العلاقة الاخوية التي كانت بينهما، والصداقة العميقة التي كانت تربطه بزوجها، وبقدر ما كان يحب ابنة وابن اخته، كان يفتقد تلك الليالي الهادئة عندما كان يشعر بالحاجة الى العزلة وسكينة النفس.

لم يكن لديه فكرة، منذ ستة اشهر، بأن الابوة يمكن ان تستنزف القوى الجسدية والعاطفية الى هذا الحد، إذاكان الأب وحده... حسناً، إنه الآن يشعر باحترام بالغ لمن يربي الاطفال بمفرده، وحتى بمساعدة مدبرة المنزل إيمالين، لم يكن هذا العمل سهلا عليه.

وأخذ جرعة من كوبه وهو يتأمل الفوضى في الغرفة، كيف اعتادت ايمالين ان تتصرف في مثل هذه الحالة؟ كان دوماً يوجد ألعاب هنا وهناك، ولكن المكان لم يبد قط وكأنه عقب انفجار قنبلة.

فكر بذلك وهو يتمطى ثم يقفل التلفاز والأنوار، ثم يتجه بهدوء الى غرفة بيكا. فقد كان نومها دائما قلقا ما يجعلها ترفس عنها الاغطية كلياً، وهذه الليلة كانت منبطحة على السرير المزدوج نائمة فوق الاغطية والملاءات وما ان سوى الاغطية فوقها برفق، حتى تألق ضوء القاعة على كتاب امامها.

انه الكتاب الذي اعطتها اياه ميغان، فأخذه بيده. لا بد أنها اخذته معها الى الفراش، مخفية إياه تحت الاغطية، ووضعه تحت إبطه يحدوه الفضول لرؤيته، هامساً لبيكا:«احلام سعيدة، يا عزيزتي.» ثم اغلق الباب، فكر في إلقاء نظرة على الطفل، ولكنه عاد فصمم

على عدم المخاطرة خوفاً من إيقاظه، فهو لا يستطيع مواجهة جولة اخرى من البكاء الآن.

في غرفة نومه، رقد في سريره، دون ان يكلف نفسه عناء أخذ ملابسه الى غرفة الغسيل، انه سيأخذها عند الصباح، اما الان، فهو يريد ان يفحص كنز بيكا.

كان الغلاف بعيداً عن التكلف، ذا لون داكن الخضرة من الورق المقوى، وكانت صورا لجراء طويلة الشعر وقطيقات لعوب الوانها مختلفة بين الأسود والأبيض والرمادي والبني، وكانت البرتقالة بلونها الأشقر ملفتة للنظر بشكل خاص، وكان يحيط بالحيوانات مجموعات مختلفة من الاشجار والاعشاب والأزهار المتألقة تزين الصفحة والألوان مائية بعضها مشرق، والبعض الآخر خامد.

لقد قامت ميغان بكل هذا بنفسها، كما أدرك وهو ينظر الى الصفحة التي تحمل اسم الكتاب، ثم تحول الى الأغاني وقرأ كل منها مرتين، كانت الأغاني رتيبة تافهة، ولكنها مع هذا ممتعة سارة وصالحة تماما لكي تسيطر على مشاعر الطفل وتزيد من خياله.

شعر سام ان ميغان ماكليستر التي وضعت الكتاب بشخصياته وألوانه، مختلفة جداً عن تلك المرأة التي جاءت لتقيم بجواره. ان الضياع يغير الانسان حقا، فالاشياء الممزقة لا تعود الى الالتئام كما كانت بالضبط. وتملكه الأمل في ان تعثر على ذلك الجزء من نفسها الذي يستمتع بالاشياء الجميلة في الحياة. كان يريدها ان تستعيد النور والضحك والحب الذين سرقوا منها.

كان يريد ان يكون هو الشخص الذي يساعدها على ذلك. ولكنه عاد يحذر نفسه من الانجراف مع مشاعره، كان عليه ان يواجه الحقيقة وهي ان ليس في امكانه تحمل أي مسؤولية إضافية. فهناك، فوق ما يعانيه من آلام لفقدانه شخصين كان يكن لهما اعظم الحب، هناك محاولة مواجهة وضعه المفاجيء الذي جعله يقوم بوظيفتي الأب والأم معاً. اولى اهتماماته يجب ان تنصب على الطفلين اولا، فقد فقدا الكثير من الحنان. ثم على مرضاه... فقد خفض من أوقات ممارسته لمهنته، لكي يبقى مع الطفلين. وعليه، قبل ان يثور زملاؤه لذلك، ان يعود للقيام بقسطه في العمل، وفي هذا ما لن يترك له وقتا كافيا للقيام بأي شيء آخر.

وهكذا ليس من العدل ان يطلب من ميغان ان تدخله في حياتها تحت شروط... في الوقت الذي كان يعلم فيه قلة ما بإمكانه ان يرد اليها مقابل ذلك. ليس بإمكانه ان يدعها تعتمد عليه في الوقت الذي قد لا يستطيع فيه ان يخلصها مما تعانيه.

عبس لهذه الخواطر، ولكنه عاد يبتسم عندما وقع بصره على كتاب ميغان. غدا، قبل ان يستيقظ برايان، سيجلس في فراش بيكا ويقرأ لها في كتاب ميغان، وربما سيجد وقتا ليقرأه لها مرتين قبل خروجه الى مكتبه. فقد كان يحب ان يبدأ يومه على صدى ضحكاتها.

انه يريد ان يسمع ضحكة ميغان. يوما ما. ويرى اكثر من تلك الابتسامة الحزينة التي لا تكاد تصل الى عينيها.

وضع الكتاب من يده، واستدار يطفيء المصباح.

إنه مساء الخميس، وقد مر اليومان اللذان عملت فيهما ميغان في قسم المحاسبة في شركة كارشيرز، بسهولة. ولكنها كانت تتطلع بلهفة الى إجازة آخر الاسبوع، لقد كانت ذهبت يوم الاثنين الى المكتبة الفرعية واشترت عدة كتب تبحث في زراعة الخضار، ومجلدا ضخما يعلم زراعة الورود.

لقد قرأتها كلها، مركزة على الفصول السهلة في زراعة الخضار، حيث انها تقوم بهذا العمل للمرة الأولى، فقد كانت تريد ان تبدأ ببساطة ودون تعقيد. وهكذا صممت على زراعة البصل الاخضر، واللوبيا، والطماطم والبازيلا. وتصورت ان المنطقة الشمالية من حديقتها هي الافضل لذلك. فهي تستقبل اشعة شمس الصباح وبعد الظهر، والظل عند اشتداد حرارتها.

حملت الورقة التي خططت عليها شكل الحديقة، ثم خرجت تقيس بالخطوات المساحة التي ستحرثها اثناء العطلة الاسبوعية القادمة. كان جارها في الفناء الخلفي واقفا في حديقته يتفحص نباتاته، لا بد ان لديه ثروة من المعلومات، وتقدمت نحوه ثم عرفت على نفسها.

قال السيد جاك هندرسون من وراء السياج:«آه، انت إذن المحاسبة الجميلة.»

«وكيف عرفت؟»

فأشار الى ناحية منزل سام:«لقد اخبرني عنك سام. انه طبيب، كما تعلمين وهو ايضا شاب في غاية الوسامة.»

تنهدت ميغان في اعماقها. ذلك انها امضت الاسبوع

بطوله تحاول ان تكبت في نفسها ذكرى سام. فلم تنجح. وهذا المساء وهي خارجة، رأته في الفناء رائع الجاذبية في بنطلون الجينز وقميص رياضي قصير الكمين، وهو يلعب مع الطفلين. كانت تريد ان تسمع صوته مرة اخرى، وترى عينيه الزرقاوين تحدقان فيها باهتمام غير عادي، ان تشعر بالمزيد من تفهمه الرقيق، وشعرت برغبة للذهاب إليه

ان إخماد شعورها بالإفتتان به، هو أصعب مما تصورت. وفي هذه اللحظة، كان مستغرقاً في رمي الكرة الى بيكا، ثم دحرجتها الى برايان.

سألها السيد هندرسون:«ألا تحبين صوت ضحكة الاطفال؟»

أومأت وعيناها على الطفل الذي كان صوت ضحكه يصل إليها فيملأ وجدانها بمشاعر متضاربة من الألم، والرغبة، والضحك. وابتسمت. ربما الأمور تتحسن الآن بالنسبة إليها.

سألها جاك هندرسون:«وما هذه الورقة في يدك؟»

فأرته الرسم التخطيطي لحديقتها المفترضة.

كان هندرسون يغرس نفس الخضار التي صممت عليها ميغان، بالإضافة الى الثوم، والخس، والجزر والفجل.

سألته:«أتظن سيكون بإمكاني، انتاج هذه الخضار؟»

انفجر ضاحكا:«ان هذا الانتاج سيغرقك، هذا إذا لم يزد المطر عن حده، او ينقص الى حد الجفاف هذا الصيف. ليس بإمكانك التكهن بطبيعة الجو، هنا، فالوقت الآن منتصف نيسان (ابريل) بينما الحرارة تبلغ

الستين بقياس فهرنايت، ولكن ما زال في إمكاننا ان نتوقع جليدا متأخرا.»

«هل من الأفضل ان انتظر إذن؟»

«كلا، ان بإمكانك ان تغطيها إذا بلغت البرودة حداً كبيرا وسأريك طريقة ذلك. ولكن قبل ذلك، عليك بحراثة الأرض. دعينا نطلب من سام الحضور الى هنا.» سام؟ وخفق قلبها ذعرا. انها ليست على استعداد لرؤيته ثانيا. انها ما زالت تشعر بالضعف منذ تلك الليلة التي بكت فيها. ولكن قبل ان تستطيع منعه، كان جاك يناديه طالباً منه القدوم. فوضع سام برايان على كتفيه، بينما سار هو وبيكا نحو السياج الذي يفصل بينهم، متجها رأسا نحو ميغان.

تصاعدت خفقات قلبها لرؤيته مع الاطفال. كان يبدو اباً لهما للحنان المتبادل بينهم، وانحبست انفاسها إذ نظر اليها بابتسامته التي اشاعت الدفء في كيانها.

هتف قائلا:«مرحبا، يا جاك، ويا ميغان.»

فبادلته الابتسام قائلة:«مرحبا.»

قالت بيكا للسيد هندرسون:«لقد ألفت لي ميغان كتابا.»

«أحقاً فعلت ذلك؟» وشعرت ميغان بأن اهتمامه كان حقيقياً، ولكن، من بإمكانه ان ينظر الى وجه الطفلة الجميلة ولا ينجذب إليه؟

اجابت بيكا:«نعم، انه احسن كتاب رأيته في حياتي.»

استدارت نحو ميغان، واحتضنتها من وسطها وهي تقول:«شكرا لك.»

اندهشت ميغان وشعرت بغصة تخنقها وهي ترى تأثير كتابها البسيط على الطفلة الصغيرة. وكان سرورها لا يوصف وهي ترد عليها قائلة:«مرحبا بك، انني مسرورة لأنه اعجبك.»

اضاف سام:«وقد اعجبني انا ايضاً، إنه دافىء، ورقيق ومرح.»

لو ان هذه الكلمات نطق بها أي رجل آخر، لظنته مجرد إطراء فارغ، ولكن، كان في عيني سام شيء انبأها بأنه معجب حقا بجهودها هذه.

اخذ برايان، الذي كان ما يزال على كتفي سام، يضرب رأس سام وكأنما تملكه الملل من ذلك الحديث الدائر بين الكبار.

انزله سام وهو يحمله بين يديه. فانطلق برايان يضحك وهو يحاول النزول الى الارض:«بيكا، هل بإمكانك مراقبته لحظة؟»

«لا بأس.» واتجهت نحو اخيها الذي اغرق بالضحك وهو يحبو مبتعداً عنها بكل ما أمكنه من سرعة.

هز جاك رأسه وهو يقهقه ضاحكا:«يا لها من طاقة. اين ذهبت آلام التسنين إذن؟»

أجاب سام:«آه، ان هناك لحظات قليلة مريحة وأكثر منها، متعبة. عندما تبدأ عنده آلام اللثة، لا يعود ينفع، عندها أي شيء.»

«إذن، سآخذهما عنك يوم السبت، لكي أفسح لك المجال لحراثة حديقة ميغان.»

شهقت ميغان قائلة:«كلا.» وإذا بها ترى الرجلين يحدقان

إليها بفضول، ولكن ليس بإمكانها السماح بدخول سام حياتها اكثر من ذلك. فتأثيره عليها كبير جدا. «إن بإمكاني تدبير أمري بنفسي.»

عقد سام ذراعيه على صدره، وهو يقول:«لا يمكنك ذلك بماكينة جاك القديمة.»

ومرة اخرى، كان على ميغان ان تكبح رغبتها في الإذعان، فهي لا يمكنها المخاطرة بتوثيق صلتها به، رغم ان هذا ما كانت تريد، فقالت:«سأشتري آلة حراثة...»

سمع سام رنة الخوف في صوتها، كما رآه في عينيها. كانت خائفة من البقاء بقربه. أيمكن ان يتعلق هذا ببرايان والماضي الذي يذكرها به، أم ان في الأمر شيئاً شخصيا؟

قال لها جاك:«ان الحراثة لن تكون كما يجب، ذلك ان الأرض لم يسبق ان حولت الى حديقة.»

قال سام:«ثم ان لي خبرة في استعمال آلة حراثة جاك.»

حك جاك ذقنه:«حيث ان الآلة اصبحت ثقيلة بالنسبة إليّ، فإن سام ابتدأ العمل في ارضي منذ اول نيسان (ابريل). وسيحرث كل بقعة فيها بعد ان يبتدىء الجو في البرودة.»

سأله سام، شاملاً بذلك ميغان جملة واحدة:«ما رأيك في ان نبدأ الساعة التاسعة والنصف من صباح السبت؟»

اجاب جاك:«هذا حسن بالنسبة إليّ. علي الآن ان ادخل الى المنزل، فأنا في انتظار مكالمة هاتفية من احفادي.»

ولوح بيديه ثم استدار متجها نحو المنزل.

اخذت ميغان تنظر الى جاك وهو يبتعد، وقد ظهر السخط

في عينيها. وصمم سام على تجاهل علامة التمرد تلك، لم يكن يريد ان تقوم بينهما معركة. فقد كانت تبدو ... ثمة شيء مؤكد في اعماق عينيها، نتيجة خبرة، بأن الحياة ليست دوما عادلة او تعطي المرء ما يشتهي.

رفعت ميغان ذقنها بتحد سافر. لقد خرج الأمر من يدها. ولم تعرف ماذا ينبغي ان تقول، ولكن عليها بشكل ما ان تستعيد مخططاتها بالنسبة الى حديقتها. تلك المخططات التي لم تكن تشمل على رجل بالغ الحيوية شغل بالها.

ثم كيف امكن لها، بعد كل المعاناة التي مرت بها، ان تستسلم لجاذبية رجل آخر، لسام؟ وبينما كان عقلها قد تلقى درسا جيدا، يبدو ان قلبها لم يكن بهذا الذكاء.

«سام، إنني...»

قطع حديثها بكاء مفاجيء، واهتز فؤادها. انه برايان قد انقلب على الدرجات الخشبية. وشلت حركتها بينما كان سام يندفع نحوه، فيرفعه بين ذراعيه ثم يخرج من جيبه منديلا حاول ان يمسح به شفة الطفل السفلى.

دم... وانقبض قلب ميغان. وسرعان ما وجدت نفسها تقف بجانب سام. كان الطفل يصرخ وهو يتلوى ألما ورأسه يميل من ناحية لأخرى. وكانت ذراعاه تحولان دون سام ومحاولة فحص الجرح. كان كل ما استطاعت ميغان رؤيته هو ذقن ملطخة بالدماء.

قالت بيكا بصوت خافت:«إني آسفة.»

نظر سام إليها وهو يحمل أخاها، ثم قال:«بيكا حبيبتي، ان الذنب ليس ذنبك.»

فقالت الطفلة وشفتها السفلى ترتجف:«ولكن كان من المفروض علي ملاحظته.»

حاول سام أن يحرر ذراعيه ليجذب بيكا إليه فأطلق برايان صرخة ثاقبة ثم لوى جسمه الصغير، لم يكن يريد ان يمسكه احد، كما ان بيكا كانت بحاجة الى التسرية عنها، فأجلس برايان على المصطبة، وهو ما زال يصرخ بصوت عال، فحبا هذا نحو ميغان، فقبض على ساقها، ثم رفع يده إليها. وتجمد سام.

أراد برايان منها ان تحمله. ورأت ميغان قلبها سيتحطم ولكنها لم تستطع ان ترفض توسلاته الباكية. جلست على الدرجة العليا، فتسلق الى حضنها، وانحبست انفاسها وهي تشعر بصدرها تطعنه المشاعر. الحزن، الشعور بالضياع، ثم شعور بالعجب وهو يستقر بين ذراعيها بشكل طبيعي وكأنه ابنها، لقد حدث كل شيء في لحظة واحدة، ولكن كل شيء عن هذه اللحظة قد حفر في ذاكرتها.

قال سام:«ميغان... لا أدري ماذا خطر لبرايان لكي يأتي الى شخص لا يعرفه. تعال هنا يا برايان.» ومد إليه يده، ولكن الطفل دفعها عنه بعيدا.

جلس سام بجانبها وقد ارتسم على ملامحه مزيج من الذهول والتوجس، والقلق، ومد يديه الى برايان مرة اخرى، ولكن الطفل عاد يغوص بين ذراعي ميغان مرة اخرى.

رغم تألمها لجلوسه في هذا المكان الذي كان ينبغي ان يكون لابنها فقط، رغم ذلك، تملكها شعور رائع، وتحولت

شهقاته الى بكاء خافت. تنفست بعمق، ثم قالت:«لا بأس، يا سام.» ثم منحته ابتسامة مرتجفة. «هكذا كنت سأحمل جوي.» وبدا عليها التأمل وهي تقول بصوت عال:«لقد كنت اتساءل دوما...»

فنظر إليها بقلق. كانت عيناها مغرورقتين بدموع لا تسيل. كانت تتألم، ولم يكن يعلم ما ينبغي عليه ان يفعل، بالنسبة لهذا، سوى ان يكون بجانبها.

جلس الى جانبها على الدرجة، لم تبتعد عنه، ما جعل الدهشة والسرور يتملكانه. ناولها منديله وأخذ ينظر إلى برايان الذي سمح لها بمس شفته المجروحة، بخفة.

وضع سام بيكا على ركبتيه محتضنا إياها وهو يقول:«انظري الى برايان يا حبيبتي، إنه بخير.» وقبل رأسها متابعا:«انه اخرق، وليس لك حيلة في ذلك.»

قالت ميغان وهي ترى نظرات بيكا القلقة:«انك اخت كبرى رائعة، ولم يحدث لبرايان سوى ارتطام بسيط فجرحت سنه شفته قليلا، وهذا كل شيء.»

فقالت بيكا مشيرة الى قميص ميغان:«لقد تلطخ قميصك بدمه.»

نظرت ميغان الى بقعة من الدم على قميصها الأبيض، ثم الى الطفل الصغير بين ذراعيها كان قد مسح ذقنه بصدرها. فقالت:«إنه ثمن قليل عليّ ان أدفعه.» ومست طرف أنفه مداعبة، ثم ابتسمت له عندما غرق في الضحك.

تساءل سام عما إذا كانت ميغان تدرك مبلغ ما تبدو عليه من جمال، في هذه اللحظة والحنان يكسو ملامحها

وهي تحتضن برايان. لا بد أنها تفكر في فقدانها لطفلها، ولكن دون ألم في عينيها. هل سيأتي الألم فيما بعد، عندما تنفرد بنفسها؟ وتمنى من كل قلبه، ان لا يحدث هذا، ولكنه أحس بأن ميغان لا تشارك الآخرين مشاعرها بسهولة ما عدا، ربما، بالنسبة للاطفال.

تثاءبت بيكا وتبعها في ذلك، أخوها. ورأى سام الشمس تميل الى الغروب، فقال وهو يمسك بأنف بيكا مداعبا:«إنني اعرف طفلين عليهما ان يستعدا للنوم.»

فاعترضت قائلة:«ان برايان وحده نعسان وليس انا.»

وتثاءبت مرة ثانية.

فقال سام:«هيا، اركضي امامي وسأحمل انا اخاك.»

ولكن عندما مد يديه الى برايان، رفض هذا ان يتزحزح من بين ذراعي ميغان وهو ما زال يتنهد باكيا.

أسكتته ميغان قائلة:«هس، ايها الصغير.» وعندما امسك بها بشدة ومضى يحك وجهه بقميصها، قالت لسام:«لماذا لا آخذه إلى فراشه بنفسي؟»

«هل تريدين ذلك حقا؟»

تنفست بعمق، وهي تدرك انها، مرة اخرى، تسلم قيادها لقلبها دون عقلها، رغم ما دفعها ذلك إليه من مصائب في الماضي... كان عليها ان ترفض، وتناول الطفل لخاله يتعامل معه ومع صراخه الذي سيتلو ذلك. ولكن، ربما لن يكون في إمكانها ابدا، بعد الآن، ان تشعر بمثل ما تشعر به، هذه اللحظة من بهجة غامرة.

حملت الطفل بشكل جيد، ثم وقفت كان أثقل مما توقعت. ولكنه كان عبئا بهيجا، ثم تبعت بيكا نحو البوابة. ومشى

www.rewity.com

سام بجانبها. كان برايان يطوق عنقها بذراع، ويضع ابهام يده الثانية في فمه، كان لدفء هذه اللحظة ان يكفيها حتى آخر عمرها.

كانت غرفة برايان الصغيرة مزخرفة بألوان مشرقة وورق جدران مرسومة عليه طائرات وسيارات سباق، وكان هناك صندوق مليء بالحيوانات المحشوة وكتب للاطفال الصغار.

ترددت ميغان عند العتبة، كانت هذه هي المرة الأولى منذ نهاية حملها، التي تدخل فيها غرفة طفل صغير. لقد كانت صممت على استعمال ورق جدران مرسوم عليها صور ديناصور في غرفة جوي، حتى انها اشترت دمية محشوة تمثل ديناصور يزأر عند الضغط عليه، وسيارة مشرقة الألوان. وقد تركت كل هذا خلفها.

قال بهدوء:«إذا انت وضعته في فراشه، فسأخلع انا ملابسه راجيا ان لا يعارض كثيرا في ذلك.»

فتقدمت ميغان نحو السرير الذي كانت ملاءته تتألق برسوم ملونة. أنزل سام حاجز السرير. فوضعت هي الطفل في فراشه برفق. ولما حاول ان يصرخ، اخذ سام يشدو له، وسرعان ما أعاد إبهامه إلى فمه.

استدارت نحو الباب وقد غمرتها المشاعر إزاء هذا المشهد الذي يصور الحياة التي كانت تحلم بها. كانت بيكا تقف عند العتبة مرتدية قميص نوم وردي وتحمل بيدها كتاب ميغان. وتذكرت ميغان اعجاب الصغيرة بالكتاب.

نظرت الى سام وهو يتكلم برقة الى ابن اخته بينما يخلع

عنه ثياب اللعب، ثم نظرت الى بيكا. كان كل ما تريده هو أسرة خاصة بها... ولكن هذا لن يكون ابدا، ولهذا، سوف تحتفظ بذكرى هذه اللحظة التي تقف فيها بيكا بجانبها محتضنة كتابها الذي كانت تقرأ فيه ما سبق وكتبته هي من اغان بسيطة وذلك منذ مدة طويلة.

سرعان ما كان الولدان يغطان في نومهما.

قالت:«حسنا، عليّ ان اذهب الآن.» ورأى هو اتجاه نظراتها الى الباب وأدرك استعدادها للهرب. ومع انه رأى ان من الحكمة ان يدعها تخرج، إلا انه لم يشأ ذلك، فسألها:«ما رأيك في شيء من العصير؟»

ارتفع حاجباها دهشة. وبدا شيء في عينيها... شوق للبقاء... تبعه الحذر مرة اخرى. ولكن وجودها هنا ومساعدتها له في إرقاد الطفلين، أشعره بمبلغ شعورها بالوحدة.

عاد يقول:«ارجوك، فأنا بحاجة الى صحبة شخص راشد.»

ارتفع حاجبها، بدت ابتسامة في زاويتي فمها، وهي تقول:«انك تتكلم كأم مضى عليها اسبوع لم تتكلم مع شخص فوق الخامسة من العمر.»

«هذا هو شعوري. انني اتحدث، بالطبع، الى زملائي في العمل، والى مرضاي، وعادة في شؤون العمل. انني بحاجة الى صحبة بعيدة عن جو العمل.» وعندما رأى لمحة اهتمام في عينيها اضاف قائلا:«ما رأيك في ان تشربي شيئا؟»

تهاوت إرادتها إزاء ابتسامته. وبعد، ما الضرر في عدة

دقائق اخرى تمضيها معه؟ ان عليها ان تعترف انها هي ايضا بحاجة الى ان تبتعد فترة عن جو العمل في الشركة. فأومأت قائلة:«لا بأس.»

اتسعت ابتسامته:«رائع. لدينا عصير التفاح. كولا خالية من السكر للرجيم. حليب، ام انك تريدين شرابا غير هذا؟»

فقالت:«احب الكولا، من فضلك.»

رأت انها اتبعت القرار الصحيح وهي تراه يعود من المطبخ حاملا كوبين من الكولا، ثم اتجه بها الى الاريكة حيث جلسا.

قالت:«اخبرتني بيكا ان ايمالين لا تمكث الى الوقت الذي يجب ان ترقد فيه الطفلين.»

«ليس ثمة حل آخر. فليس في منزلي مكان تنام فيه مدبرة منزل، كما انني لا اريد ان أغير هذا المنزل الذي ألفته بيكا، هذا الى انني لست في وضع يسمح لي باتخاذ القرارات.»

«انني اقدر شعورك هذا.» لقد كانوا طلبوا منها، حال ولادة جوي، ان تتخذ قرارا هاما بالنسبة الى حياة طفلها، وكان هذا قرارا يقرب من الاستحالة.

لاحظ سام ان الحزن يعود الى عينيها مرة أخرى، فلم يحتمل ذلك. لقد كان يتعامل مع أناس يصادفون الضياع والاحزان يوميا، ولكن الأمر، مع ميغان، يبدو شخصيا، ولم يشأ ان يحلل هذا.

الفصل الرابع

اخذت ميغان تذرع المطبخ وقد برح بها القلق وأذهلتها الصدمة، لتقرر اخيرا، ان ما حدث كان جنونا صرفا، وأنها فقدت عقلها... إذ لا شيء آخر يمكن ان يفسر ما فعلت.

وقفت وهي تتأوه بصوت عال، لتأخذ في تعنيف نفسها. لقد افسدت في مساء واحد، كل التقدم الذي حازته في سنة كاملة، في مقاومة الألم، وجمع شتات نفسها من جديد. لقد جذبتها ابتسامته فأنستها كل شيء، من حسن حظها ان انتبهت الى الحقيقة قبل ان تتمادى في هذا، لقد أنقذت نفسها، في آخر لحظة.

لا عجب ان تفقد رشدها وهي مع سام، تضع طفليه في فراشهما كما لو كانت تؤلف، معهم، اسرة عادية ثم يتناولان، بعد ذلك، العصير ويتحدثان الى آخر النهار، كل هذا جعل الضعف يدب في كيانها، ما جعلها سريعة التأثر به. لقد أفلتت منه اليوم، ولكن هذا لن يحدث مرة أخرى. وكان هذا عهدا منها بذلك، إنهما جاران وسيبقيان كذلك على الدوام. ذهبت الى غرفتها لتسرح شعرها وهي تذكر نفسها بالعهد الذي أخذته على نفسها، منذ تركها أليكس، وهو انها لن تسمح للحب بأن يستولي عليها، بعد الآن.»

انها، و سام، سيتبادلان التحية من بعيد في كل صباح، عند ذهابهما الى العمل، وعندما يرى احدهما الآخر،

أمام منزليهما، سيتحدثان معاً بكل أدب، بينما سام يلاعب الطفلين، وترعى هي حديقتها...
الحديقة... وتملكها الذعر وهي تلقي بالفرشاة من يدها، وأخذت تحدق في صورتها في المرآة، من المفروض ان يحرث سام حديقتها، السبت، وهي لا يمكنها ان تخاطر بالتواجد معه ولو لوقت قصير.
بإمكانها ان تبدل رأيها، ان تأخذ دروساً في الطهو بدلاً من انشاء حديقة. ولكن، كلا، انها تريد الشعور بمتعة الزراعة ومراقبة النباتات وهي تنمو، ان امامها يوماً واحداً تتخذ فيه قرارها النهائي والذي يجب ان لا يكون فيه مجال لسام.
ان اصدقاءها الوحيدين، عدا عن جاريها هنا، هم زملاؤها في العمل، ما بين محاسبين وكتبة وغير ذلك، ولا بد ان بإمكان واحد منهم ان يساعدها بالنسبة الى حرث وزرع الحديقة. وعندما أوت الى فراشها، كانت قد قررت ان تتصل بزملائها تطلب منهم هذا.
ولكن الكلام اسهل من العمل، كما اكتشفت في الصباح التالي، فموظفو المكتب كانوا جميعاً إما في البحيرة يزاولون التجذيف في الزوارق، وإما يشاهدون المباراة الرياضية على شاشة التلفاز، اما النساء منهن فقد كن يركزن اهتماماتهن إما في اجتماع رابطة الآباء، وإما في تنظيف المنزل، بينما ازواجهن يربضون على الآرائك يتابعون برامجهم الرياضية المفضلة، على شاشة التلفزيون، ولا احد منهم كان مستعداً لتحمل التصاق التراب تحت اظافرهم نتيجة العمل في الحديقة.

فيما بعد، في ذلك الصباح، سألتها ليز زميلتها في الشركة:«وما الذي يجعلك تجهدين نفسك في زراعة الخضار، بينما هناك محل يبيع الخضار الممتازة خلف المبنى حيث عملنا؟»
كانت ليز امرأة ثرثارة خفيفة الروح، في السابعة والعشرين من عمرها، وقد انعقدت أواصر الصداقة بينها وبين ميغان حال وصول هذه الشركة. ولكن ليز لم تستطع ان تفهم سبب رغبة ميغان في رعاية النبات الصغير الى ان يكبر.
قالت لها ميغان:«انني اسكن في ضاحية الآن، يا ليز، ولهذا أعمل كما يعمل سكان الضواحي.»
«حسناً إذن، ما دمت مصرة على هذا العمل الفظيع، اطلبي من احد جيراك ان يساعدك.»
كادت ميغان ان تصرخ، ان كل محاولاتها كانت تدفعها للعودة الى ذلك الرجل الذي كانت تريد ان تتجنبه، كان يبدو ان سام سيكون له شأن في حياتها، وهذا ما لم تكن تريده ان يحدث.
اخذت ليز تحدق في اظافرها الملونة لحظة، ثم اتجهت نحو الباب حيث توقفت لتعود بنظراتها الى ميغان، قائلة:«لقد اشترى مكتب تيم عدداً من التذاكر الى ساحة الألعاب هذه الليلة، هل تريدين الذهاب معنا؟»
ألعاب البيسبول... ساحة الألعاب هذه هي عادة ملتقى العائلات، انها مكان يأخذ الآباء اطفالهم إليها. ولم تكن ميغان واثقة من مشاعرها تجاه تلك المشاهد، ولكن حان الوقت لكي تتوقف عن الهرب من الحياة.

اخفت خوفها وهي تومىء قائلة:«يبدو انها فكرة رائعة.»
«هذا حسن، سأخبر تيم. ما الذي ستفعلينه اثناء فرصة الغداء؟»
«سأشتري اثاثاً لشرفتي.»
فتأوهت ليز قائلة:«لا تخبريني بأنك ستجلسين في الشرفة لتشاهدي حديقتك، حسنا علينا ان نجد لك زوجا.»
ما ان خرجت ليز من المكتب، حتى تنهدت ميغان، كيف بإمكانها ان تجعل صديقتها تفهم ان آخر ما تريده هو صداقة رجل؟ وأنها كانت الخاسرة على الدوام في كل مرة وقعت فيها في الحب؟

* * *

ذعرت ميغان وهي ترى صباح السبت يطل على الكون مشمسا دافئا، لقد كانت تمنت ان يحدث عواصف، او جو لا تحتمل حرارته، اثناء الإجازة الاسبوعية... او يهجم الجراد... او أي شيء يمكن ان يمنع سام من حراثة حديقتها.
وعندما طرق بابها الساعة الثامنة والنصف ذلك الصباح، ادركت انها وقعت في مأزق. وقف عند العتبة، وقد حمل برايان بين ذراعيه بينما وقفت بيكا بجانبه.
قالت بيكا بابتهاج:«لقد نادينا السيد هندرسون، قال إنه لن يستطيع مراقبتنا هذا النهار.»
فسألت ميغان وهي تخرج الى الشرفة:«هل هو بخير؟»
اومأ سام يجيبها:«نعم، ولكن ابنته التي تعيش في المدينة جاءت مع اولادها الليلة الماضية.»
أدركت ميغان، من نبرة خاصة في صوته، ان ثمة سبباً

آخر لحضور الابنة أكثر من مجرد زيارة مع اولادها.
فقالت:«والسبب...؟»
فعاد يقول:«يبدو انها تركت زوجها. ان جاك مستاء جدا لذلك.»
بدا العبوس على وجه سام. وفهمت ميغان معنى ردة فعله هذه والتي تعني ان هذا مثل آخر لعدم نجاح الحب. كم عدد الذين يصادفهم في عيادته يوميا، من هذا النوع؟ لا بد انهم كثيرون، نظرت إليه. ثم سألته:«هل ما زلنا، إذن، على ما قررناه بالنسبة لحديقتي؟»
أجابت بيكا وقد تألقت عيناها:«نعم، إذا انت قبلت بأن تراقبينا.»
وقبل ان تجيب، قال سام:«وإذا لم تقبلي، فسنتفهم الأمر.»
لقد عاد يفكر بمشاعرها مرة اخرى، ولهذا جعل لها مخرجاً إذا هي شاءت. وشعرت بالضعف يتملك قرارها الذي كانت صممت عليه، وعندما نظرت الى بيكا، شعرت بالضياع. كيف يمكن لأي انسان ان يضن على هذه الصغيرة بشيء؟ وقالت:«سأبقى معكم بالتأكيد.»
هتفت بيكا بابتهاج، بينما أخذ برايان يتلوى حتى وضعه سام على الارض. وعندما سكتت بيكا، حاول الطفل ان يتعلق بساق ميغان وهو يرف بصره إليها ضاحكا.
حدقت الى الطفل وقد امتلأ قلبها بالحنان. لم تكن تستطيع احتمال هذه المشاعر التي كان يثيرها في نفسها. فقد آلمها ان تنظر إليه فتتذكر طفلها الذي فقدت. ولكن هذا الطفل قد فقد أهم شخصين في حياته. شعرت بلهفة الى حمله وضمه كما سبق

وفعلت تلك الليلة التي وقع فيها وجرح شفته. إن الاستسلام سهل عليها، ورائع ايضا... ولكنها لن تسمح لنفسها بنسيان ما حدث بعد ان وضعت، تلك الليلة الطفل في سريره، إذ شعرت في غرفته، وكأنها موجودة في بيتها.

ولكن منزل سام ليس بيتها وهي لن تكون ابداً جزءاً من أسرته الصغيرة.

تمتم سام وهو يحاول ان ينتزع برايان الذي كان متشبثا بساقيها:«ربما هذه الفكرة غير حسنة.» ولكن الطفل ازداد تشبثا، رافضا تركها.

رفع سام نظراته الى وجه ميغان الذي كانت تظهر عليه ملامح العذاب والأسى والخوف، والبهجة.

قالت بيكا بصوت حاد:«ان برايان يحب ميغان اكثر من أي شخص آخر.»

طرفت ميغان بعينيها. وازداد برايان تشبثاً بها. متوسلاً إليها ان تحمله، وهو يصر على رفض المجيء الى سام.

انحنت ميغان ثم اخذت تمرر يدها على شعره الناعم ورفع هو يديه إليها، وعندما مد سام يديه إليه، اخذ برايان يضربه مبعدهما عنه.

اخيرا، تنهدت ميغان وهي تنحني آخذة الطفل بين ذراعيها. فأخذ يربت على وجنتها وهو يضحك مبتهجا، ليطبع عليها، بعد ذلك قبلة رطبة حارة رائعة. شهقت هي، بينما قال سام شاعراً بالعجز:«ميغان...»

فنظرت إليه بابتسامة حزينة:«لا بأس.» لمست طرف أنف الطفل قائلة:«إنك طفل قوي الإرادة، أليس كذلك؟»

نظر برايان الى سام بابتسامة ظافرة وهو يثرثر بصوت عال وكأنما يعلن عن فوزه في هذه المعركة، وتملك سام شعور بأن الطفل ربما ليس سلس القيادة كأخته، وأن عناده قد يقود الى صراعات في المستقبل وهذا الموضوع يجب ان يبحث في أمره يوما ما، كما ان هذا الموضوع يذكر سام بالأوليات من اهتماماته، إذ بقدر ما كانت ميغان تجذبه، كان لديه التزامات أخرى.

قال لها:«سأسير الى منزل جاك لأحضر المحراث، هل ستكونين مع الطفلين على ما يرام؟»

تنفست بعمق، ثم اومأت برأسها، انما بشيء من التردد. تنحنح، ثم مد يده يعبث بشعر الطفل، مطمئنا بيكا بأنه سيعود بسرعة، ثم توجه نحو منزل جاك هندرسون.

شعرت ميغان بالذعر لحظة، عندما تركها سام وحدها مع الطفلين. انها لا تعرف أي شيء عن العناية بالاطفال فإذا أصاب أحدهما أي ضرر بسببها فستكره نفسها. وكما توقعت، فالصبيان مخلوقات محبة للإستطلاع. ولما لم يكن مستثنى من ذلك أراد ان ينزل الى الارض ليتفحص المكان. ان عليه ان يدس اصبعه في كل ثقب في أرض الشرفة الخشبية، ويحاول ادخال رأسه بين قضبان الدرابزين ويجرب مقدرته على تخطي درجات المدخل الثلاث.

جنبته ميغان المشاكل بمعونة بيكا. وكانت افكارها تعود دوما الى حيث كان سام يعمل. وكان هو الموضوع الرئيسي في أحاديث بيكا، ولم تتوقف عن ذلك إلا فترة بسيطة حين وصل أثاث الشرفة، ثم عندما ساعدت ميغان

في تقرير ما عليها ان تصنع الشاي ام الليموناضة.
تملك ميغان العجب من تصرف سام بالنسبة الى الطفلين، ذلك ان اليكس، زوجها السابق، لم يكن يحب ان يكون له طفل. لقد كان يقول لها ان الإطفال يسببون الفوضى والارتباك. ولكن سام كان شيئاً آخر. كما انه جذاب جدا. وتحولت نظراتها نحوه ثم اخذت تلعب مع بيكا وبرايان ولكن بصرها كان غالباً على سام، تلاحظه وهو يعمل، فتعجب من نشاطه.
كان شكله، يمتزج بالرقة والرعاية، وقد جذبت الصفة الأخيرة اهتمامها بقدر ما جذبتها حيويته. لم يكن سام يشبه بشيء زوجها السابق.
كان برايان، في هذه الاثناء ينوء بمحاولته النهوض ليقف متمسكا بكرسيها وهو يضربها على ساقها مثرثراً وكأنه يعنفها لشرودها في تلك التأملات. لم يكن لديها الحق في التفكير في سام في واقع كهذا. فقد كان اباً بطبيعته. ورجلٍ يكن هذا القدر من الحب للأولاد، لا بد ان يرغب يوما ما في انجاب اطفال منه. وهكذا على ميغان ان تقنع بالعناية بحديقتها.
«مرحبا، ماذا على عامل مجتهد ان يقوم به لكي يحصل على شيء من الليموناضة؟»
حدقت ميغان بسام وهو يتهالك جالساً على الدرجات بجانبها.
تمتمت تقول:«سأحضر إليك الليموناضة.»
قالت بيكا:«ايمكنني ان اسكبها بنفسي؟ آه، كلا، لقد نسيت ان الكوب كبير.»

فقالت ميغان:«إحملي انت الكوب، وسأملأها انا.» كانت بحاجة الى القيام بأي عمل يبعدها عن سام. وهكذا ملأت الكوب، وناولته الى بيكا، ثم اخذت تنظر إليها بينما هذه تحمله بكل حذر لتعطيه لخالها. كان بينهما رباط بالغ القوة. فقد جعلها سام بجانبه، واضعا ذراعه حول وسطها، بينما رفع الكوب الى شفتيه يعب الشراب مرة واحدة. وأخذت ميغان تتأملهما وقد عادت إليها المشاعر التي سبق وتملكتها.
وما لبث برايان ان أخذ يحبو متجهاً نحو سام، طالباً حصته من الاهتمام والعصير. وبابتسامة متسامحة، أوسع سام وبيكا ما بينهما لكي يفسحا مجالا لبرايان لينضم إليهما. وما ان ابتلع هذا جرعة الليموناعضة، حتى رفع يديه يلوح بهما وهو يصرخ. فقدمت ميغان إليه الكوب الذي كانت تشرب منه ولكنه رفض. فتنهد سام قائلا:«هذه إشارة الى أنه جائع.» وشعرت ميغان أنه كان يأمل في عدة لحظات أخرى يرتاح فيها قبل ان يأخذ الطفلين الى البيت ويعد لهما الغداء. ولكن الراحة كانت من مرفهات الماضي، بالنسبة إليه، كما رأت من صراخ الطفل وإلحاحه.
قالت لسام:«إنك متعب، فدعني أعد غداء لكم جميعاً.»
هتفت بيكا بابتهاج:«يمكننا، إذن، ان نتناول الغداء خارجا على المائدة الجديدة.»
رفع سام حاجبيه قائلا:«هل بإمكانك هذا حقاً؟»
«اعتبر ذلك مقابل ما قمت به لأجلي.» ونظرت الى الطفل.«هذا إذا كان لدي شيء يصلح طعاما لبرايان.»

«لا تقلقي بشأنه، فبإمكانه ان يأكل كل شيء تقريباً ولا يأنف من شيء.»

قالت بيكا باشمئزاز:«نعم. حتى انه يأكل ورقاً وتراباً.»

حمل سام الطفل فوق رأسه وهو يحدث بفمه صوتاً أشبه بهدير الطائرة فيغرق الطفل بالضحك. ولكن سام قال منبها:«ان هذا لن يلهيه وقتاً طويلاً.»

فهمت ميغان الإشارة، ودخلت المطبخ مع بيكا حيث اخذتا تقلبان محتويات الثلاجة. فأخرجت ميغان قطعاً من لحم ديك الحبش، وسلطة خس وطماطم، وكيساً يحتوي على بسكويت مملح اعطته لبيكا لتلهي به برايان الى حين تنهي صنع الطعام.

كانت وجبة الغداء دافئة وشهية. ولكن جلوس سام أمام ميغان الى المائدة يعذبه. كانت تبدو رائعة الجمال والنسائم تعبث بشعرها البني الكث. وكانت ضحكتها بالنسبة إليه،اشبه بموسيقى عذبة.

أراحت ميغان ظهرها الى الخلف وسألته وهي تلقي ببصرها نحو صفوف الأثلام التي أحدثها في الأرض:«اشكرك على حرثك لحديقتي. إنك ماهر جداً في استعمال تلك الآلة.»

«لقد اكتسبت خبرة كبيرة من وراء مساعدتي لجاك.»

وعندما انهى مسح وجه برايان، شعرت ميغان بالشوق الى ما لا يمكن لها الحصول عليه، شعرت بكل ذلك يسري في كيانها. فأخذت تشغل نفسها برص صحون الورق وأقفال حاويات الأطعمة سريعة الاعداد والتي كانت ما تزال تحتوي بقايا من غدائهم.

هتفت بيكا وهي تشير الى فتاة أقبلت ووقفت خلف السياج مباشرة، تقول:«أنظر ان لدى فرانسي دراجة جديدة. هل أذهب وألعب معها؟»

فأومأ قائلا:«لا بأس. إنما لا تبتعدي عن هذا المكان إذا ركبت الدراجة.»

«نعم. شكرا للغداء، والمعذرة لتركي المائدة. الى اللقاء.»

ضحكت ميغان وهي ترى الصغيرة تندفع معددة قائمة جمل التهذيب التي كانت تعلمتها، وذلك اثناء ركضها للالتحاق برفيقتها، وقالت تعلق على ذلك:«يا لحسن سلوكها.»

فقال وهو يضع برايان على الارض:«نعم، لقد أمكنها ان تعدد كل ما عليها ان تقوله. ولكن اتظنين ان بإمكاني ان اجعلها تقول كل هذا وهي واقفة بهدوء؟»

ولم يخف على ميغان نبرة المحبة التي بدت في صوته، فقالت متأملة:«ان من حسن حظ الطفلين أنك معهما.»

فابتسم قائلاً بعطف:«وكذلك بالنسبة إلي، على الأقل في أغلب الأحيان.»

فأخذ برايان يثرثر موافقاً على قوله، ثم حبا الى الاريكة وأخذ يتسلقها. وعندما جلس عليها، اخذ يصفق بيديه. قال سام للطفل الذي وضع إبهامه في فمه:«إنك فخور بنفسك، أليس كذلك؟» في هذه الاثناء، ألقى الطفل بنفسه على الوسادة خلفه ونام فتابع سام قائلا بحيرة:«لا اصدق هذا. أظنه سيقع.»

قالت:«أظن هذا لم يعد يحدث له مؤخراً.»

«ليس تماما. فقد بقي الليلة الماضية مستيقظاً بسبب

ألم أسنانه. من المفروض ان آخذه الى البيت لأرقده في سريره، ولكن إذا أنا رفعته الآن، فسيبكي وقد لا أتمكن من جعله ينام مرة اخرى.»

«دعه هنا، إذن، فالشمس دافئة والرياح معتدلة وذراعا الكرسي الذي ينام عليه ستحفظانه من السقوط.»

أمعن سام النظر في التعبير الحزين المكتئب الذي بدا على وجهها فأثار عطفه:«ميغان... هل من الصعب عليك ان... تكوني قريبة من برايان؟»

نظرت الى الطفل النائم، وتنهدت قائلة:«نعم، إنه كذلك، ولكن ذلك... حسنا، لقد جعلني أدرك انني اتجنب معالجة بعض الأمور.»

«اتعنين وفاة ابنك؟»

«اشياء تتعلق بذلك. فهناك، في بوسطن، توقفت عن الخروج، خصوصاً إذا انا ظننت ان ثمة اولاداً في طريقي. صديقاتي ممن لديهن اولاد، خفن من القدوم لزيارتي خوفاً من ان يسببن لي الحزن. لقد كان اسهل عليّ ان افقد صداقتهن، من ان احتمل نظرات العطف التي كنت أراها في اعينهن عندما ينظرون إليّ.»

«إننا جميعا نقوم بما نراه مناسباً وذلك لكي نجتاز المحنة.»

اومأت وهي تتابع:«بقيت أشهراً لا اشعر بأنني على قيد الحياة... وما لبثت ان عدت الى العمل بعد ان سمح لي الطبيب بذلك. فكنت اعود الى منزلي كل ليلة، محاولة إن لا افكر كم هو فارغ البيت... محاولة ان لا افكر ابداً.

«ما الذي جعلك تتركينه؟»

«لا أدري. لقد عدت ذات ليلة الى منزلي فلم استطع

احتمال فراغه اكثر من ذلك. اردت استدعاء صديقة، ولكن...» وتنهدت مرة اخرى، ثم تابعت:«لكنني تغيرت... كثيراً. لم تعد الحياة هي نفسها. وهكذا تركت كل شيء خلفي.» تركت كل شيء ألفته، كل شيء كان يذكرها بحماقتها وضياعها. وهربت.

سألها:«وماذا بالنسبة الى أسرتك؟»

«ليس لدي سوى والداي. وهما يعيشان في بالتيمور.»

«انها ليست بعيدة عن بوسطن. ألم يأتيا للمكوث معك الى ان تستطيعين الوقوف على قدميك مرة أخرى؟»

هزت رأسها نفياً:«إن والدي ممثل شركات أدوية. فهو يجول بسيارته طوال النهار. وعندما يعود إلى البيت، فهو يفضل الجلوس في كرسيه المفضل، رافعاً قدميه، ثم يتفرج على التلفزيون. أما والدتي فهي لا تقود السيارة.»

سألها رافعاً حاجبيه بعدم تصديق:«لا تقود ابداً؟»

«نادراً جداً. إن ازدحام الشارع يثقل على اعصابها، كما ان البحث عن موقف لسيارتها يصيبها بالإحباط. وهكذا، تستأجر سيارة في العادة، ولا تجلس خلف عجلة القيادة إلا في الأحوال الصعبة.»

فقال غاضباً:«وهل ما كنت تعانينه ليس امراً صعباً بالنسبة إليها؟»

قالت تؤنبه بابتسامة باهتة:«هون عليك الأمر، بالنسبة إليهما، يا دكتور ارمسترونغ. لقد كانت الى جانبي، خصوصاً في البداية. ولكنني اخذت في ابعادهما عن حياتي. وكذلك هما يعتقدان ان الشخص، عندما يقع، يمكنه ان ينهض بنفسه.»

«ليس الأمر دوماً بهذه السهولة.»
«هذا ما اكتشفته. ولكنهما تصورا ان عودتي الى حالتي الأولى ستكون اسرع إذا كنت بمفردي. وعندما لم تجر الأمور حسب تصورهما، نفد صبرهما مني.»
«إن الاشخاص، مرهفي الإحساس، الذين يهتمون بالآخرين، يستغرق شفاؤهم عادة، مدة أطول.»
فقالت وهي تتأمل في كلماته هذه:«اشكرك، أظنني كنت بحاجة الى سماع هذا من شخص ما.»
من شخص حساس ويهتم بالآخرين. كان شعورها يخرج عن سيطرتها، ولكنها لم تستطع ايقافه. قالت تسأله:«وماذا بالنسبة إليك؟ كيف كان تصرفك بالنسبة الى موت شقيقتك؟»
تنهد ثم أجاب:«اكتشفت كم هو أسهل على المرء ان يكون موضوعياً ويرى الشيء بأبعاده الصحيحة بالنسبة لمأساة لا تخصه شخصياً.»
«وعندما ترث ولدين بهذا الشكل المفاجيء.» فانتقل ببصره الى برايان الذي كان راقدا على الأريكة، مكورا جسمه الضئيل وإبهامه في فمه، ثم قال:«إنني لم أكد أجد وقتاً للحزن على نانسي وجيف. كان عليّ أن أبحث عن مدبرة للمنزل، ومدرسة لبيكا، وأن أحول منزلي الى بيت لها ولأخيها.»
«كانا بحاجة الى شخص يرعاهما، فوجداك.» لا بد ان الأمر لم يكن سهلاً بالنسبة إليه ان يدخل في حياته، وهو الاعزب، طفلين صغيرين. ولكنه لم يهرب من المكان كما فعل أليكس.

«كانا بحاجة الى أب وأم. أما أنا، فكنت في البداية، بديلاً ضعيفاً لهما. خصوصاً بالنسبة الى برايان. كان يعرفني، ولكن كيف يمكنك ان تساعدي طفلاً بعمره، على ان يفهم ما هو الموت؟ وذلك في الوقت الذي لا يستطيع ان يفهم لماذا عليه ان يغتسل؟»
قالت:«إنك تقوم بذلك بصبر وحب بالغين.»
فابتسم ساخراً:«انك تظهرينني بالرجل المخلص. ولكن هناك اوقات تمر بي... خصوصاً في هذه الأيام التي هي طور التسنين بالنسبة لذلك الصغير.»
«هل تمر بك أوقات يبتعد فيها تفكيرك عن تفكير المخلصين؟»
«أحياناً، مثل ان اتمنى تدخلاً جراحياً لشق لثته، او ربما تناول مهدىء لنا نحن الاثنين الى ان ينتهي التسنين هذا.»
وضحكا معاً. كان يحيط بهما جو يحوي شيئاً رائعاً، وكذلك غير مستقر، كما شعرت به ميغان بكل دقة. كان موجوداً في سهولة تبادلهما المشاعر عن الضياع، والتسنين. شعرت وهما يجلسان، وتغمرهما اشعة شمس نيسان (ابريل) الدافئة، بصلة تربطها بسام. كالدفء الذي يتبع جوا بالغ البرودة، او الماء بعد أشهر من الجفاف.
ربما كان هذا ما جعلها تقبل دعوته الى السينما، بسرعة ودون تفكير سوى الى متى تريد البقاء معه.

الفصل الخامس

«آه... سام...»
كانت تريد ان تتملص من وعدها بالذهاب معه، حالما أبدت موافقتها، وقد أدرك سام ذلك، فقد رآها تبحث عن الكلمات التي تخبره بها بأنها لا تستطيع الذهاب معه، إن عليه ان يسمح لها بالتراجع قبل ان يأتي وقت يندم فيه هو على تهوره هذا، ولكنه كان يريد مرافقتها... الى درجة جعلته يتخلى عن طبيعته الحذرة.
إندفع قائلا:«اننا سنكون مجرد صديقين ذاهبين الى السينما، ولا شيء غير ذلك.»
نظرت إليه مشككة، فقال بإخلاص:«حقاً.» ذلك ان ما كان يريده حقيقة، لم يكن بإمكانه نيله، كان يريد ان يتعرف الى شخصيتها عن قرب، وبشكل واف. «لقد اضطربت حياتي منذ جاء الطفلان للعيش معي، تماما كما حدث لك بالنسبة الى الصداقة، إذ الكثير من اصدقائي لم يعجبهم تغير مجرى حياتي.»
وهنا ترددت ميغان، لقد كان مقدرا تماما لما سبق وعانته كما انها تعاطفت معه لما يعانيه. لقد كانت اقترفت اخطاء عديدة بالنسبة الى ماضيها، وهي الآن في أشد الخوف من القيام بأي شيء. «لا ادري، يا سام...»
نظر مرة اخرى، الى إبن أخته النائم، ثم إليها. وأحست هي بأنه يزن الأمر في نفسه:«ميغان، عليك ان تعلمي انني أراك جذابة جدا...»

شعرت بالخطر من كلامه، تنفست بعمق ثم قالت:«إنه زوجي. لقد تركني عندما...» وسكتت.
فأكمل قائلا برقة:«عندما مات ابنك؟»
لقد ماتت مع جوي اشياء كثيرة... الأمل... الثقة.. والاحلام جميعا... فحطمها ذاك. أغمضت عينيها تخفي بذلك الغضب والألم اللذين تحملهما دوما، الذكريات.
«لقد أقام أليكس دعوة الطلاق في نفس اليوم الذي خرجت من المستشفى.»
تمتم سام بعد ان شتم بصوت خافت:«يا لانعدام الاحساس... إذ يهرب منك في الوقت الذي كنت فيه بأمس الحاجة إليه لكي يقف الى جانبك.»
فعجبت ميغان لتعاطفه معها، ولتفهمه، كان من السهل الوثوق به، كانت بحاجة الى الثقة، الى شخص يسندها، وشعرت بأنها ترغب في سنده لها، فقط لو كان بإمكانها ان تثق به... ان تثق بحكمها الذاتي. ولكن دماثة طباع أليكس جعلها تعلم مبلغ ما يمكن ان تدفعه من ثمن فادح، للأخطاء. وتابع سام ببطء:«إنني، فقط، اريدك ان تعلمي مقدار أسفي لتصرفي معك.»
رفعت حاجبيها دهشة. ورأى لمحة من جرح الكرامة في عينيها، فقال بسرعة:«اردت ان اقول إنني أسرعت في التصرف. لم يكن لدي الحق في هذا التصرف، وذلك بالنسبة الى ظروفي الحالية، منذ ورثت هذين الطفلين، اصبح علي ان اختصر كل شيء... بما في ذلك تدريبي في العمل. ومع هذا أراني في بعض الأيام، لا اجد وقتا للتنفس.»
قالت بهدوء:«او القيام بأشياء اخرى، إنني لم أرك قط

تزاول رياضة الركض عند الصباح.»

«هل لاحظت ذلك؟» ولاح المكر في ابتسامته العريضة عندما احمر وجهها قليلا، وفكر مسروراً في أنها كانت تراقبه. اضاف:«ان برايان يستيقظ كثيراً اثناء الليل ما يجعلني غير مرتاح للنهوض باكراً لكي أزاول هذه الرياضة قبل ذهابي الى العيادة، وأنا احاول ان احضر الى البيت عند الغداء إذا كان برنامجي يسمح بذلك. ان بإمكان الاطفال ان يعيدوا تخطيط برنامجك.»

ان التخطيط لانجاب طفل، قد غير من مجرى حياتها ومن طريقة نظرتها الى الامور.

فأومأ قائلا:«ان ما اريد قوله هو ان الارتباطات تأخذ الكثير من الوقت مما لا استطيع توفيره، سواء كانت جادة أم غير ذلك. ومع ظروفي الحالية، منها حادث وقوع برايان على أثاث شرفتك الجديد، يبدو من غير اللائق دعوتك الى موعد.»

«ولكن السينما...»

«إننا، في هذا، مجرد صديقين بحاجة ماسة الى قضاء سهرة خارج المنزل.»

وعندما ابتسم، ادركت ان ليس بإمكانها ان تخذله. لقد سبق لهما المعاناة، هما الاثنين. هما الإثنان يحاولان تأسيس مفاهيم جديدة لحياتهما، قالت:«لا بأس، يا سام. متى تريد الخروج؟»

«ما رأيك في الساعة السادسة والنصف؟ لا اظن بإمكاني الخروج لتناول العشاء حيث انني سأستدعي جليسة الاطفال في آخر لحظة.»

«هذا حسن.» كانت تريد ان تقول ان هذا أفضل. فهي غير مستعدة للخروج لتناول العشاء معه، ومع ان الذهاب الى السينما لا يعد موعداً، إلا أنها كانت، على نحو ما، أشبه بذلك.

* * *

الساعة الخامسة والنصف وهو لم يعثر على جليسة اطفال بعد، لقد اتصل سام بالهاتف للمرة السابعة، ثم اخذ يحدق إليه بعنف لحظة طويلة، لم يكن يوجد في المدينة فتاة مراهقة لم تكن قد سبق ووضعت لنفسها برنامجاً لليلة السبت هذه.

ماذا عليه ان يفعل، الآن؟ إنه متلهف للخروج هذه الليلة مع ميغان، ما يجعله في غاية القلق. ولكن ما كان يقلقه هو كيف يتدبر أمر ذلك. «من سيمكث معنا؟» كان هذا سؤال بيكا، بلهجتها الطفولية. وكانت هذه إشارة الى قلقها لخروجه.

فجذبها سام واضعاً إياها على ركبتيه. كان هذا شأنهما في كل مرة كان يخرج فيها. كانت ما تزال تذكر تلك الليلة التي خرج فيها والدها ولم يعودا إليها وإلى أخيها. وبهذا، كان سام يخرج كثيراً الى منزل جاك هندرسون لقضاء بعض الوقت في الحديث، وذلك فقط، لكي يثبت في ذهن بيكا إن ما كان حدث لوالديها لم يكن شيئاً عادياً يتكرر دوماً.

قال:«لا أدري يا حبيبتي، ان كل شخص مشغول هذه الليلة.»

WWW.REWAYAT.COM

«إذن، فعليك ان تبقى في البيت.»
تمنى لو يستطيع ان يقول لها انه، هذه المرة، بحاجة قصوى الى قسط من الراحة، ولكنه كان يعلم انها اصغر من ان تفهم احتياجاته، ولكنها كبيرة الى حد تشعر معه بجرح كرامتها إذ تفكر في انها عبء عليه، وهو لا يريدها ان تفكر في هذا على الاطلاق.
«ولكنني وعدت ميغان بأن آخذها الى السينما.» وعاد ينظر الى القائمة التي تحتوي على اسماء جليسات الاطفال، منتظراً حصول شيئ ما فيجد فتاة تكون موضع ثقة، وترغب في الحصول على مبلغ لقاء جلوسها مع الطفلين عدة ساعات.
تنهدت بيكا ثم قالت متثاقلة:«إذن، اظن ان بإمكانك ان تتصل بإيمالين.» قالت ذلك بصوت شديد الخفوت ما جعل سام يشتبه في انها تخفي عنه بعض المعلومات المهمة كان عليها ان تبلغه إياها قبل الآن.
سألها:«ايمالين؟»
فأومأت الطفلة قائلة:«قالت لي منذ مدة طويلة ان اخبرك بأنها تعرف فتاة اسمها جيل يمكنها ان تجلس معنا احيانا.»
«وانت لم تبلغيني ذلك لأنك كنت تريدينني ان امكث معك في البيت؟»
زمت شفتها السفلى. وشعر بالألم لأجلها، فقد كان هو كل ما لديها الآن، فهي تخاف من ان تفقده، هو ايضا.
وتابع يسألها:«لماذا تخبرينني بذلك الآن؟»
فقالت:«لأنك وعدت ميغان.»

فاحتضنها بشدة وهو يقهقه ضاحكاً:«إذن، فأنت ستدعينني اخرج الليلة لأجل ميغان. لماذا؟»
«لأنها تحبني ولأن رائحتها حلوة.»
قال وهو يقبل رأسها، ثم يمد يده الى الهاتف:«لا بأس يا اميرتي، فلنجرب ما إذا كانت جيل موجودة ويمكن الوثوق بها.»
شعر بالرضى لترك طفليه في عهدة الفتاة بعد مدح ايمالين لها، وانطباعه الخاص عنها. اغتسل ثم ارتدى ثيابه بسرعة قياسية، ولكنه كان قد تأخر عن الموعد المقرر. وعندما طرق باب ميغان، كان ينظر في ساعته بقلق.
بادرها وهي تفتح الباب:«أسف لتأخري.» وفكروهي تقف عند المدخل في أنه تأخر سنوات...
يا ليته عرفها قبل ان يرث تلك المسؤولية عندما كان لديه الوقت الكافي لمعرفتها، ولم تكن هي في طور استعادة قواها بعد كارثتين اصابتاها هما موت طفلها، والطلاق من زوجها.
قالت له وهي تجلس في سيارته الرياضية قبل الساعة السابعة بثوان:«يبدو عليك التعب.»
أطلق ضحكة جافة وهو يجيب:«ان افضل الخطط لا تعني شيئاً بالنسبة الى طفل في الشهر العاشر من عمره. اثناء العمل، يأتيني مرضى هم آباء دون زوجات، أو أمهات دون أزواج، فأنصحهم بأن يخرجوا... يتعرفوا الى آخرين يمكنهم التحدث معهم... ينشئوا علاقات صداقة... كانت هذه اجوبتي المعتادة لهم. وها أنذا

WWW.REWAYAT.COM

أدرك الآن مبلغ تسرعي في إعطاء نصيحة كهذه، حين يكون هناك اطفال.»

فقالت:«ولكن هناك كثيرون بإمكانهم ان يوفقوا بين اطفالهم وحياتهم الاجتماعية بنجاح.»

تأوه قائلا:«ليس ثمة اكثر من العثور على جليسة اطفال. فإن علي إما ان أجد واحدة يتمكن والدها من إحضارها إلي والعودة لأخذها، وإما علي ان آخذها بنفسي وآخذ الطفلين معي ذهابا وإيابا كيلا اتركهما وحدهما في البيت، بينما يكره بريان بعنف ايقاظه من نومه.»

«هذا شيء صعب، ولكن لا بد ان بإمكان بيكا ان تساعدك نوعا ما.»

«ليس بالنسبة الى حياتي الإجتماعية. فهي تخاف من ان يكرر التاريخ نفسه معي، فأخرج الى حيث لا أعود بعد ذلك مطلقا كما حدث لوالديها. إن علي ان أضع مسألة خوفها الشديد ذاك، في حسابي.»

«لا استطيع تصور مبلغ صعوبة ذلك ولكن ينبغي ان تكون لك حياة اجتماعية. وعليها ان تتعلم ان الناس يخرجون ويعودون.»

«نعم، إنها ستنسى ذلك يوماً ما.»

أومأت قائلة:«وإلى ان يحين ذلك اليوم، هنالك محل صغير أنيق يبيع اللبن المثلج بنكهات مختلفة قرب المسرح. لقد ذهبت الى هنالك مرة واحدة، وصادف إنهم كانوا يوزعون عينات للدعاية، إنها لذيذة الطعم جدا.»

عندما ادخل السيارة الى الموقف، أشارت الى محل صغير عبر الشارع. «ذاك هو. وهو يتأخر في الاقفال

ليلتي الجمعة والسبت، ان بإمكاننا ان نتوقف عنده بعد خروجنا من السينما، لنأخذ معنا شيئا منه لبيكا.»

نظر إليها بدهشة:«أليس لديك مانع في العودة مباشرة بعد انتهاء الفيلم؟»

هزت رأسها نفيا.

كان وهو يركن السيارة ثم يسير بها الى داخل دار السينما، يفكر في أنها امرأة محيرة حقا، فهي تقدم احتياجات فتاة صغيرة، على متعتها الخاصة.

لقد كان، وميغان، وصلا الى السينما متأخرين، حال ابتداء الفيلم، فوجدا مقعدين الى جانب الجدار. ولكن سام وجد من الصعوبة ان يركز افكاره على الفيلم، وشغل عقله عن التفكير في معاناته من جراء دوره الأبوي.

لقد كانا اتفقا على حضور فيلم خفيف فكاهي، متجنبين الافلام العاطفية او النفسية المثيرة. كان الفيلم جيدا، او على الأقل ما انتبه إليه من مشاهده، ولكن ميغان كانت في ذهول مستمر.

جعله جلوسه بقربها، يدرك ما هو مفقود من حياته. اصبح يتوق الى امرأة يتناقش معها. امرأة يتحدث إليها في سكينة الليل... الى يد تساعده في حمل اعبائه.

إن ميغان تفهم معاناته، إنه يدرك مبلغ ما في قلبها من دفء وحب للآخرين، فالى أي حد سيتمكن هو من الاهتمام بها...؟

وسرعان ما انتهى الفيلم، فخرجا من دار السينما ومن ثم صعدا الى سيارته.

www.rewity.com

قالت بلهجة جافة وهو يدير محرك السيارة:«إن مصممي هذه السيارة لم يكن في ذهنهم شيء اسمه زواج او أسرة.»

ضحك قائلاً:«نعم، لقد اشتريتها منذ سنتين، في تلك الأيام التي كنت اعيش فيها وحدي، وما زلت أحب قيادتها وهي مكشوفة، وصوت الراديو ينبعث عالياً من محطة موسيقى الروك.»

ضحكت ميغان قائلة:«تعني الأيام الحلوة التي مضت.»

فأخذت تنظر الى جانب وجهه وهو يخترق بسيارته زحام الخارجين من السينما لكي يقطع الطريق متوجها نحو محل بيع اللبن الرائب، كانت ابتسامته مليئة بالبهجة الخالصة، ان سهرته هذه في الخارج قد انعشت نفسه، ونفسها، ايضاً، كما شعرت، أحست بالسعادة وتجدد النشاط وهذا ما لم تشعر به منذ مدة طويلة.

شعرت بالمتعة في الضحك، وفي الشعور بخلو البال. ان ذلك ينسيها قلقها بشأن ما يخبىء لهما المستقبل، ليس ثمة بالنسبة الى هذه اللحظة، سواهما، هي وسام.

وهكذا وجدت نفسها تشير الى أنواع اللبن في الدكان سائلة سام أي نوع منها يظن ان بيكا تفضله، وفي النهاية، اختارت نوعين طلبت وضعهما في علبة واحدة.

قال لها سام وهما يعودان الى السيارة:«إنك تفسدينها بالتدليل.»

فقالت:«انظر الى مزايا عملي هذا من الناحية النفسية. ان بيكا ستبدأ بمقارنة خروجك من البيت بالأشياء السارة.»

أشعل الراديو، رافعاً الصوت وهو يتجه بالسيارة نحو البيت، حتى انه كشف سقف السيارة عندما طلبت منه ذلك، ضاحكة.

وفي المنزل، أصر عليها ان تدخل بنفسها الى غرفة بيكا وتعطيها اللبن بيدها:«انك الشارية، وأنت التي ستقدمين لها ما اشتريته.»

«وإذا هي قارنت الأشياء السارة بخروجك معي أنا فقط؟ ماذا ستفعل حينذاك؟»

«حينذاك سأخرج معك على الدوام.»

هتفت بيكا وهي تنطلق خارجة من الباب بينما كانا يصعدان الدرجات نحو المدخل، هتفت فرحة:«ها قد رجعتما الى البيت.»

رفعها سام وقبلها بصوت عال، وفتح الباب لميغان، وفي الداخل، انزل بيكا الى الأرض، وبعد ان دفع لجيل، الفتاة جليسة الأطفال، أجرها، وجاء والدها لأخذها، قال لبيكا:«لقد احضرت لك ميغان مفاجأة.»

ناولتها ميغان العلبة وهي تبتسم للفرحة التي بدت على وجه الطفلة الصغيرة. وأرادت بيكا ان تذوق نوعي اللبن، لكي ترتاح في نومها فلا تتساءل عما عسى ان تكون نكهة النوع الثاني، وفي الصباح تنتظر استيقاظ خالها وإزعاجه بإلحاحه الدائم بأن يسمح لها بفتح العلبة الثانية.

استسلم سام لرغبتها وهو يدور بعينيه كمن يشكو مبالغتها تلك، وتحايلها. قال يخاطب ميغان بينما الطفلة تلتهم اللبن الرائب بمتعة بالغة:«ان الاطفال يتعلمون بسرعة.»

فقالت متهكمة:«هذا فقط لأجل علبة لبن أخرى.»
«ولكنها، يوماً ما، ستسألني عن الموعد الذي عليها ان تعود فيه الى البيت، وإلى أي حد يمكنها ان تقصر تنورتها.»
اومأت ميغان برأسها مفكرة، ان الحياة تتغير على الدوام، فالأطفال يكبرون، والكبار يزداد بهم الكبر. لا شيء يبقى كما هو، وهذا يتضمن صداقتها مع سام. ستتغير ظروف حياة كل منهما، يوماً ما، أترى سيكون لها مكان في حياته؟
قفزت بيكا من كرسيها عند المائدة، وهي تقول:«انني متعبة.»
ساعدها سام في غسل وجهها، وغسل اسنانها بالفرشاة وتسريح شعرها، ولكن كان على ميغان ان تقرأ لها حكاية قبل النوم وذلك من الكتاب الذي سبق وأهدتها إياه.
تكورت بيكا في سريرها الصغير، بجانب ميغان، بينما وقف سام عند العتبة ينظر إليهما، لقد اسبغت ميغان بهجة على هذا المشهد، فقد شع الدفء في ملامحها وهي تسمع ضحكات بيكا لأغانيها المضحكة، وترى أثار انامِلها الصغيرة على الرسوم التي كانت هي رسمتها منذ أمد طويل.
عاد الألم يساورها وهي تتذكر انها لن تنجب طفلاً مرة أخرى، في حياتها. ولكن الأسى لذلك، خفف هذه المرة، وجودها، هذه اللحظة، مع بيكا، انها لحظة ستختزنها في ذاكرتها على الدوام. إن بإمكانها ان تصحب معها

ذكريات جديدة، وبعد قبلة على الخد واحتضان من الطفلة لها ولسام، أطفأ هذا النور ثم اغلق عليها الباب، وبعد ذلك أوصل ميغان الى بيتها المظلم.
كان هواء الليل نقياً عابقاً بشذا براعم الأشجار، والحشائش النابتة بعد برد الشتاء.
قال لها وهما يصلان الى الباب:«اشكرك لخروجك معي هذه الليلة.»
اجابت:«لقد استمتعت بها حقاً.» واستمتعت بها كثيراً الى حد انها لم تكن تريد للمساء ان ينتهي. وقالت ببطء:«سام. هل فكرت قط في... الزواج؟ أعني...»
سألها بينما كانت تفتش عن كلمات توضح بها قصدها من هذا السؤال:«اتعنين لأجل الطفلين؟ لقد كنت فكرت في ذلك كثيراً، في البداية، بعد ان قهرتني الأحداث.»
«استطيع تصور ذلك.»
«لقد تغيرت حياتي كلها، بطرفة عين، علاقاتي مع الآخرين... اصدقائي... توقفوا فجأة، عن الرد على مكالماتي الهاتفية وكانوا يعتذرون في كل مرة كنت اطلب منهم الخروج معي.»
سألته بحيرة:«ألم يكن يحببن الأولاد؟» لم تكن تستطيع تصوره مرتبطاً بامرأة مختلفة بطباعها عنه.
هز كتفيه:«لم يكن مستعدات لاحتضان أسرة خصوصاً واحدة منهن، كريستين، اخبرتني بأنها تشعر بأنني استعجل الأمور بيننا لكي نتزوج، فقط لأجد والدة للطفلين.»
«هل كان كلامها صحيحاً؟»

«ربما قليلاً. لقد فقد الطفلان والديهما، وشعرت أنا بأنهما بحاجةٍ الى اكثر من خال شغوف بهما، ولكنه لا يعرف شيئاً عن العناية بهما.» وأطلق ضحكة جافة. «لقد بقيت اسابيع حتى تعلمت كيف أربط شعر بيكا.»

«ثم تعلمت ذلك؟»

«نعم، ولكن ما قالته كريستين جعلني اعيد التفكير بما كنت اقوم به. كنت والطفلان، وما زلنا، نكافح في سبيل التعودٍ على بعضنا البعض، وهذا يكفي لكي لا نفرض انساناً آخر عليهما ان يتعودا عليه. وهكذا، علينا، حالياً، ان نمضي في طريقنا معتمدين على أنفسنا رغم العثرات.»

سألها وهي تفتح بابها:«وماذا عنك أنت؟ ما الذي يحمله المستقبل لميغان ماكليستر بالنسبة للارتباطات؟» لم يكن واثقاً من انه يريد ان يسمع جوابها، ولكن السؤال لا يمكن إنكاره، وحيث انها قد فتحت الآن هذا الموضوع، فهو يريد ان يعلم ما إذا كانت ستهتم بإنشاء علاقة جادة من هذا النوع. ولكن تصوره لها مع رجل آخر، لم يعجبه.

«أظن انني ما زلت غير مستعدة للتفكير في هذا الموضوع. عندما رحل أليكس... حسناً، كان مواجهة هذا الأمر صعباً جداً عليّ.»

توتر سام، لقد تمنى لو استطاع ان يهشم وجه اليكس ذاك للألم الهائل الذي سببه لميغان. وقال دون ان يفكر في مدى الغضب الذي شعر به نحو زوجها السابق:«لقد تركك في اسوأ الأوقات.»

اومأت قائلة:«ان اكثر ما حطمني هو ان اعرف أنه لم

يحبني قط... ليس بالشكل الذي كنت أظن. كنت أظنه سيقف بجانبي، في المحن، على الدوام، ولكنني عندما احتجت الى شخص استند إليه، لم يشأ ان يواجه المشاكل.» وتنهدت. «لم أكن افهمه جيداً قط.»

«هذا ما يحدث. فنحن نظن أننا نعرف شخصاً ما، وإذا حصلت محنة ترينا أننا كنا مخطئين.»

ما أحسن ما عرفته عنه، فهو قد اظهر لها اهتماماً بالغاً بها، وأبدى لها من الرعاية ما لم تره من أليكس قط. ولكن لم تحدث محنة بعد لتكشفه... إنما لماذا يكون لها الحق في ان تنتظر من سام ان يكون بجانبها عند الحاجة، او ان يحمل بعض الأعباء عنها...

قالت وهي تدفع باب بيتها:«حسناً، أظن الوقت قد تأخر...»

«نعم، معك حق، وأنا لا اريد ان اترك الطفلين وحدهما مدة طويلة.»

وفي ضوء القمر، نظر الى وجهها الجميل، كان النسيم يتلاعب بشعرها بخفة. وكانت لمحة من الحذر الممزوج بالكآبة، تبدو في عينيها.

عاد يحدق فيها مرة اخرى، يملأ ذاكرته بشكلها هذا في ضور القمر، ثم خرج.

اخذت ميغان تنظر إليه يعبر فناءها، وقد وضع يديه في جيبيه. ثم استدارت صاعدة الى غرفتها حيث استلقت على سريرها تفكر فيه. ومضى وقت طويل قبل ان يغلبها النوم.

الفصل السادس

لم تكن ميغان تلاحظ تلاعب النسيم بصفحات مجلة المناظر الطبيعية التي كانت ملقاة على ركبتيها، لقد كانت أخذت المجلة وفنجان القهوة خارجة بهما الى الشرفة باكراً ذلك الصباح. ولكنها لم تمس قهوتها التي بردت بينما تخلت هي عن تصميمها الفاتر على وضع اصص الورود في شرفتها، لكي تعود بأفكارها الى سام الذي حلمت به طوال الليل. كان خيالها مليئا بتصور نفسها معه، يضحكان ويلهوان مع الطفلين.» وأطفال آخرون، فتاة وصبي، والاثنان لهما غمازتا سام وعيناها هي، ولكن هذا لن يحدث ابدا.

تنهدت وهي تحاول ان تعود بأفكارها الى واقعها الحالي، حيث يمكنها الاستمتاع بأشعة صباح الأحد، كما كان عليها ان تتدبر أمر ورودها. وكذلك زهور الاضاليا، وهي بحاجة الى الكثير من العناية. وهذا يناسبها تماما، ان ازهارها رائعة الشكل والشذا، وستستمتع بالاعتناء بها. ستغرس الورود في أصص ضخمة، واحدة في كل زاوية من الشرفة، أما الاضاليا فستمتد في الارض على جدران المنزل.

«تلك هي ميغان، مرحبا ميغان.»

رفعت ميغان رأسها حين سمعت صوت بيكا يناديها، من خلف السياج. كانت رفيقة بيكا تقف بجانبها والتي كانت ذات عينين عسليتين واسعتين وشعر قاتم ناعم.

سألتها بيكا:«ماذا تفعلين؟»

«أفكر بالزهور، ماذا تفعلين هذا الصباح انت ورفيقتك؟»

تبادلت الفتاتان نظرة متآمرة، هزت فرانسي رأسها بينما اومأت بيكا بقوة، ثم تقدمت خطوة نحو ميغان، بينما بقيت فرانسي مكانها، ولكن بيكا امسكت بذراعها تشدها الى الأمام، وحاولت ميغان ان تخفي ابتسامتها وفضولها. من المؤكد ان الفتاتين كانتا تريدان شيئا ما وإبنة أخت سام، ذات الوجه البريء،كانت هي المحركة للأمر، وانتظرت بينما اقتربت منها الفتاتان.

صعدتا الى الشرفة، ثم قالت بيكا، بينما فرانسي تومىء برأسها بخجل:«انا وفرانسي نريد منك ان تعلمينا كيف نصنع كتابا.»

ردت ميغان دون ان تنتبه الى تصحيح الكلمة لغويا:«تصنعان كتابا؟»

«نعم، مثل الكتاب الذي كنت اهديتني إياه، قال خالي سام انك رسمت الصور بنفسك وكذلك نظمت الأغاني، إننا نريد ان نتعلم كيف نصنع ذلك، نحن ايضا.»

امعنت النظر في وجهي الفتاتين، دون ان تتكلم، كيف بإمكانها ان تعلم فتاتين في الخامسة من عمرهما كيف ترسمان وتنظمان اغاني الاطفال؟ وهل هي تريد ان تحاول ذلك؟ ولكن كيف بإمكانها ان ترفض بينما الاثنتان تقفان امامها منتظرتين راجيتين؟

اخيرا قالت لهما:«لا أدري ان كان هذا العمل سينجح.»

توسلت إليها بيكا:«ارجوك، إننا سنتصرف بشكل حسن جدا.»

ضحكت ميغان عندما اومأت فرانسي موافقة، وقالت:«لا ادري كيف سنسير في عمل كهذا. وهل عندي المواد اللازمة له، حتى انني لم أنظر داخل صندوق أدوات الكتابة والرسم الذي لدي، منذ...» وسكتت قبل ان تقول، منذ مات جوي، فلا الفتاة لا ميغان بحاجة الى تذكر الاشياء المحزنة.

«لقد قالت نعم.» وأخذت الفتاتان تقفزان فرحاً، بينما قالت ميغان، وهي تنظر الى كل من الفتاتين بالتناوب:«أنا قلت نعم، ولكن عليك ان تسألي خالك يا بيكا إذا كان يقبل، وأنت اسألي أمك يا فرانسي.»

اختفت الفتاتان قبل ان تطرف عين ميغان، فضحكت لحماسهما هذا وهي تحمل فنجان القهوة والمجلة، ثم تدخل المنزل. وفي غرفة البياضات وجدت صندوق أدوات الرسم، فحملته ووضعته على المنضدة التي تفصل بين غرفة الطعام والمطبخ.

كان الصندوق يحتوي على كثير من الذكريات، تذكرت والديها اللذين أثار حيرتهما واستغرابهما ميولها الابداعية هذه... وأصدقاءها في الكلية الذين عجبوا لاختيارها دراسة مادة المحاسبة كمهنة، ووليدها الذي انجبته لكي يدخل في صراع مع الموت، ثم ينهزم.

ذكرياتها الأخيرة ما زالت تؤلمها، ولكنها تدرك الآن ان الألم كان يخف يوما بعد يوم. وقد لعب سام دورا فعالا في ذلك، إذ امكنها، معه، ان تفصح عن مشاعرها كما

شاركها مشاعره هو الآخر. لقد تعاطف الواحد منهما مع الآخر.

قطع عليها رنين الهاتف مجرى افكارها. ولم تدهش وهي تجد سام في الطرف الآخر من الخط، إنما ما أدهشها هو تأثير صوته عليها، كان دافئا وسريعا قليلا.

ولكنها سمعت صوت برايان يبكي مرة اخرى. سألها من دون مقدمات:«هل فقدت عقلك؟ طفلتان في الخامسة، ترسمان؟»

أجابت:«إنني متشوقة لأرى ذلك.» كانت تتطلع الى ما ستشعر به من تسلية وهي تحاول تعليم بيكا ورفيقتها. فقال بصوت يحتوي بنبرة عدم تصديق:«لا بأس، إذا كنت واثقة... لقد طلبت من بيكا القدوم لتناول الغداء.»

نظرت ميغان في ساعتها:«ليس ثمة وقت لذلك، ما رأيك في شطائر الفول السوداني والجيلي؟»

سادت لحظة صمت عاد بعدها يقول:«هل لديك هذا؟ لا اظنك تعنين انك تأكلين حقا هذا الخليط المبتكر؟»

«انني لا آكله فقط، يا دكتور آرمسترونغ، وإنما أحبه ايضا.»

ادركت، بشكل ما، أنه كان يبتسم وهو يقول:«حين أفكر في أنني ضمنتك لدى والدة فرانسي...» وهنا أطلق برايان صرخة عالية، كما أصبح بكاؤه أعلى وأكثر غضبا، وتنهد سام.

سألته بعطف:«أهو يوم آخر من تلك الأيام؟»

«آه، لقد استيقظ في الرابعة هذا الصباح، ولم يسكت حتى الآن.»

ذاب قلبها لأجل سام، فقالت له:«لماذا لا تحضره الى هنا؟ ربما إذا هو أخذ يتفرج على بيكا وفرانسي، يلهى عن ألم التسنين.»

«كلا، الطفل يحتاج الى عناية كبيرة، وبيكا تشعر بالحزن إذا هي لم تستطع مساعدتي في العناية به. انها بحاجة الى اللهو والتصرف احياناً كطفلة، هذا الى ان برايان سيحاول أكل الورق والدهان، دون ان يفهم إذا انا زجرته لذلك.»

فأطلقت ضحكة بدت في سمعه رقيقة رخيمة، ثم قالت:«لقد نسيت عادته في أكل ما يراه. إذن، ربما فيما بعد، بعد ان ننهي عمل هذا اليوم.»

نظر سام الى الطفل التعس وهو يضرب الارض بكلبه المحشو. من المحتمل ان يستمر على هذا المنوال طوال النهار، إنه لا يظن ان بإمكانه مواجهة ذلك بمفرده، ووجوده مع ميغان هو أكثر راحة وبهجة مما يعانيه حاليا، هذا الى أنه، في الحقيقة، مستعد لدفع أي ثمن في سبيل ان يراها دائما.

قال مفكراً في أنه سيكون معها:«سأجعله يأخذ غفوة بعد برهة، ثم أحضره إليك حوالي الثالثة.»

«هذا عظيم.»

اقفل الهاتف وهو يفكر باسماً في أنها تبدو وكأنها تعني ذلك حقا، وتلاشت ابتسامته وهو يتحول الى برايان فيحمله ثم يهدهده. في أوقات كهذه، كان سام يتساءل عما إذا كان برايان ما زال يفقد أمه.

أيمكن ان يكون ذلك شبيها بافتقاد سام لميغان؟ لقد فكر

فيها مدة طويلة بعد ان أوى الى فراشه الليلة الماضية. وهذا الصباح لم يستطع مزاج برايان السيء، لا ولا تكرار تحذيره لنفسه بعدم الإنسياق وراء عاطفته، في ان يخمد من شوقه إليها. ولم يستطع السيطرة عليه إلا بمشقة لم يسبق له ان فكر في امرأة في مثل ظروفه هذه، وبهذه القوة، منذ مدة طويلة.

ولم يشعر إلا وقبضة برايان تنهال على وجنته بضربة مفاجئة، فأمسك سام اليد الصغيرة يقبلها، قائلا:«شكرا، إنني بحاجة لذلك لكي يعيد إلي عقلي.»

ولما رأى ان الهدهدة لم تنفع الطفل، وهو لن يخاطر بتسبب الألم لها او للطفلين وذلك بالاندفاع الى ارتباط معها قبل ان تستقر أموره. فقد عانوا جميعا بما فيه الكفاية وليسوا بحاجة الى إضافة مآسي جديدة منه.

ضربه برايان على ركبته بكلبه المحشو، ما أعاد سام الى واقعه المزعج. وفكر في الغداء، فحمل الطفل الى المطبخ. لقد سبق واستعمل العلاج الذي يوصي به كتاب (دكتور سبوك) في فترة التسنين. ولكن لم ينفع شيء منه هذا النهار. ربما إذا حشا فم برايان بالطعام، يبقيه هادئا فترة قصيرة.

فكر، باسما، في ميغان وشطائرها المحشوة بالفول السوداني والجيلي. إنه يكره هذا الخليط حتى انه لا يستطيع النظر إليه، ولكن، لأجل ميغان...

قال يخاطب برايان وهو يضعه على كرسيه العالي:«نعم، يا صديقي... إنني لأجلها، أقبل تقريبا...»

فأجاب برايان باكيا:«مو... مو..»

«نعم، تقريباً... تقريباً، في الواقع.»

* * *

ألقت ميغان نظرة شاملة على الفوضى في مطبخها يتملكها احساس من أنجز شيئاً. ذلك انه تحت إشرافها استطاعت بيكا وفرانسي اداء رسومات لأشجار وأزهار متوسطة الجودة، وذلك قبل ان تمنحها أذناً بالمتابعة بمفردهما. وكانت الاشكال التي رسمتاها في المنظر الأمامي لأناس وحيوانات أليفة لا تكاد واضحة المعالم.

سألت ميغان:«هل هذه التي في السماء هي طيور؟»

اجابت بيكا:«أنهما أمي وأبي، لقد قال لي ذلك خالي سام.»

وأشارت بفرشاتها الى شكل ما في المنظر، قائلة:«وهذا خالي سام، إنه سيرعاني ويصبح أبي الجديد.»

«أحقاً؟» كان هذا كل ما امكنها قوله، لقد أراد سام ان يكون الطفلان له قانونياً. كان عليها ان تعلم أنه ما كان ليسلك طريقاً غير مكتمل.

تابعت بيكا:«وعندما يقول له القاضي ان بإمكانه ان يرعاني وبرايان، سنكون، عند ذاك، أسرة حقيقية.»

وأشارت الى شكلين صغيرين في الصورة، ثم الى شكل آخر اكبر حجماً. «هذان انا وبرايان، وهذه أمنا الجديدة. قال خالي انه ربما سيكون لنا أم، يوماً ما، وأخوة وأخوات.»

«أحقاً؟» رددت هذه الكلمة كالببغاء وهي تستوعب ما تحدثها به بيكا. لقد ألمها في الصميم انها لن تكون ابداً جزءاً من ذلك المنظر... جزءاً من مستقبل بيكا.

اخذت الفتاة تثرثر عن الأسرة النامية التي تريدها وكيف سيكون لها اخوة صغار تلعب معهم وتعلمهم كيف يربطون احذيتهم. ومع كل كلمة كانت تقولها بلهفة، كان قلب ميغان يغوص اكثر فأكثر.

يجب ألا تحرم بيكا من الأسرة التي تتوق إليها، وليس بإمكان ميغان ان تمنحها إياها، وتساءلت ميغان عما يجعل من هذا مشكلة، وما الذي تريده هي؟

سام، انها تريد سام. تريد ان تكتشف طريقة حياته. تريد التعرف إليه عن قرب.

ولكن ذلك سيكون كارثة، ألم تعلمها الحياة ان الناس يتغيرون بتغير الظروف؟ فحالياً، سام يتعاطف مع مصيبتها بابنها، ولكنه لا يعرف القصة بأكملها. كيف سيكون شعوره عندما يعلم ان ليس بإمكانها ان تمنحه الاخوة والأخوات الذي وعد بيكا بهم؟

لم تكن تريد ان تعرف. وأخذت تساعد الطفلتين على تنظيف المكان وتنظيمه. لم تكن تستطيع احتمال التفكير في كيف سيخبو بريق عينيه عندما تخبره. لم تكن تستطيع احتمال التفكير في انها ستسمعه يتحدث عن لهفته الى الشيء الذي لن تتمكن من تقديمه له... الا وهو الاطفال.

كلا، انها لن تخبره، ليس ثمة حاجة لذلك، وهي لن تسمح لعواطفها الناشئة نحوه، بأن تنمو.

سألتها فرانسي:«يمكنني ان آخذ الصورة التي رسمتها الى بيتنا لأريها لوالدتي؟»

«طبعاً، ولكن انتبهي لها لأنها ما زالت رطبة.»

اندفعت فرانسي خارجة من الباب الأمامي، ولكنها ما لبثت ان توقفت، ثم رفعت بصرها الى ميغان:«يجب ان يراقبني احد وأنا أعبر الشارع.»
فقالت لها ميغان:«انا سأراقبك.»
وخرجت تقف في الشرفة تنظر الى الفتاة الى ان فتحت هذه باب منزلها ودخلت، عند ذلك خرجت امرأة طويلة القامة قاتمة الشعر ثم لوحت بيدها الى ميغان تحييها، فلوحت ميغان لها بدورها، وهي ترى ان والدة فرانسي تبدو ودودة. وتمنت لو تحصل لهما فرصة للتعارف.
كانت تهم بدخول منزلها عندما سمعت ضجة جعلتها تستدير نحو باب منزل سام، كان يناضل في حمل برايان وكل المعدات التي يحتاجها المرء لرحلة طويلة مع طفل، حتى ولو كانت الرحلة فقط الى البيت المجاور.
نادت ميغان بيكا، ثم هرعت الاثنتان لتعاوناه في التقاط الاشياء التي كانت تسقط منه، فحملت بيكا كيس الحفاظات بينما حملت ميغان كرسي برايان العالي، ولكن هذا وقعت انظاره عليها فكاد يقفز من بين ذراعي سام، مادا ذراعيه نحوها، فأخذته إليها بينما حمل سام الكرسي، وكانت عينا الطفل حمراوين وأنفه يسيل بغزارة.
سألت سام:«ألم يرقد قليلاً؟»
«ابداً.»
لقد انبأتها هذه الكلمة المختصرة التي تمتم بها، عابساً، بكل شيء، كان مرهقاً، مستنزف المشاعر، شاعراً بالإحباط الى درجة الصراخ.

وبرفق اخذت تمسح الدموع عن وجنتي برايان كما مسحت انفه. ثم سألته برقة:«هل هذا أحسن؟»
فأومأ برأسه، ثم أراح رأسه على كتفها، واضعاً إبهامه في فمه.
ضحكت بيكا قائلة:«لقد قلت لك إنه يحب ميغان اكثر من كل شيء.»
فزمجر هازلاً، ما جعل بيكا تضحك وهي تتقدمهم بمرح وهم يعودون نحو منزل ميغان، وفي الداخل، رفع برايان رأسه يشمل ما حوله بنظراته، وحين اكتشف الأرنب المحشو ملقى على المقعد الهزاز، مد يده نحوه. فجلست ميغان على ذلك المقعد، وأجلسته على ركبتها والأرنب على ركبتها الأخرى وهي تتأرجح في المقعد. وفي الوقت الذي أنهت فيه بيكا عرض الرسم، الذي انجزته، على خالها، كان برايان قد نام.
تأوه سام قائلا:«انني مستعد لدفع أي شيء في سبيل ان اجعلك تقومين بذلك اربع مرات يومياً.»
«يا لسام المسكين، لقد اتعبك كثيرا.»
اومأ قائلا:«انت وايمالين الشخصان الوحيدان اللذان يمكنكما تهدئته ومواساته عندما تبدأ اسنانه تؤلمه. وهذا يجعلني اتساءل عما إذا كان ما يزال يتذكر أمه.»
قالت بيكا برقة:«انا اتذكرها.»
جذبها سام ووضعها على ركبته وهو يبتسم لها بعطف.
«ما الذي تتذكرينه، يا حبيبتي؟»
«كانت تحمل برايان طوال الوقت، وتهدهده.» وأراحت رأسها على صدر خالها. «وكانت تغني له.»

سألتها ميغان والألم يعتصر قلبها:«وهل كان هو يحب ذلك؟»

«كان غالباً يتقيأ عليها.»

فضحك سام، وعندما سمع ميغان تضحك هي ايضاً، التقت عيناه بعينيها لحظة طويلة، كان بينهما شعور مشترك... حميم. تنفس بعمق وهو يكتم ما تملكه من حنان قوي إليها.

قالت ميغان بابتسامة رقيقة:«حسناً، من حسن الحظ ان برايان قد تجاوز تلك المرحلة.»

فقالت بيكا باشمئزاز:«نعم، التقيؤ هو شيء سيء.»

ضحكت ميغان بهدوء. وأخذت تمعن النظر في خطوط الإرهاق المحفورة على جبين سام. وقالت:«قبل ان يتشعب الحديث، ما رأيك في ان تترك لي الطفلين، وتذهب الى غرفتك في غفوة قصيرة؟»

كانت الفكرة جيدة لا تقاوم. ولكنه في النهاية جلس على الارض بجانب الكرسي الهزاز وهي يتنهد راضياً:«بل أفضل البقاء هنا...»

اراد ان يكون معها. فهو يشعر بالوحدة بعيداً عنها، ويبدأ بالتفكير في كل ما تفتقده حياته. ألا وهو ميغان، لقد نسي النوم الهانيء. وكان مستغرقاً في تصور بهجته، عندما جذبته بيكا من قميصه قائلة:«انا جائعة.»

فتذكر انه هو ايضاً لم يكد يمس غداءه وهو يحاول تهدئة برايان، فقال:«وأنا ايضا. ما رأيك في ان نحضر طعاما من مطعم صيني؟»

هتفت بيكا:«آه، دجاج؟»

نظر سام الى ميغان فكاد يقف قلبه عن الخفان إزاء الابتسامة الدافئة الكئيبة التي كانت على شفتيها وهي تحدق في الطفل الراقد على ذراعيها، وتملكته الرغبة لانهاء آلامها ببالغ قوتها، ما جعله يشعر بالدوار. كلما حاول ان يبعد مشاعره عنها او يكبتها، ازدادت هذه المشاعر قوة.

سألتها بيكا:«ماذا تريدين ان تأكلي يا ميغان؟»

«أنا؟ لا اظن خالك كان يقصد...»

فأصر قائلا:«بل كنت اقصد، فقد جعلت من ابنة اختي فنانة حقيقية،وخففت من آلام ابن اختي حتى استطاع النوم ومن ثم انعمت علي بلحظات من السلام والصحبة السارة.»

فاحتجت بيكا قائلة:«وصحبتي انا سارة ايضاً.»

قبلها على جبينها قائلا:«انك الافضل، وإنما كنت اعني صحبة الكبار.» وأمسك بأنفها يهزه، قائلا وهو ينظرالى ميغان:«على كل حال، ان اقل ما يمكنني عمله هو ان اشتري عشاء من عند دراغون حيث يضيفون إليه من البهارات ما يجعله لذيذ الطعم.

فقالت وهي تبتسم له:«هذا يبدو حسناً.»

شعر برغبة وهو يراها تحمل برايان بكل هذه الرقة والحلاوة، وتبذل الكثير من نفسها ووقتها لبيكا... بدت له في منتهى الكرم والاهتمام بالغير رغم هشاشتها وضعفها، مما جعله يشعر برغبة في تخفيف آلامها، وأدخال السلوى الى نفسها بحبه.

ولكن، ليس له الحق في كل هذا. فقد نالت من الآلام ما

يكفي، وهو لن يسمح لنفسه بالدخول في حياتها قبل ان يتأكد تماماً من أنه سيستطيع اسعادها.
انزل بيكا الى الارض، ثم وقف متجهاً نحو هاتف ميغان حيث اتصل بالمطعم طالباً اعداد طعام له بحيث يجده جاهزاً عندما يأتي، بعد حين، لاستلامه، وعندما اعاد السماعة الى مكانها، قالت بيكا:«سأتي معك، انهم دوماً يعطونني حصة زائدة من الكعك.»
فقال وهو يراقب أي لمحة من التردد قد تبدو على ميغان:«ولكن ربما تحتاج ميغان بعض العون بالنسبة الى برايان.»
نظرت الى الطفل الراقد، ثم هزت رأسها قائلة:«سنكون على ما يرام، لا اظنكما ستغيبان طويلاً.»
«نصف ساعة على الاكثر.»
وضع كيس الحفاظات بالقرب من كرسيها، وفرش بطانية برايان على الارض، في حال ارادت ان تمدده عليها.
وعند خروجهما، عدلت من وضع الطفل بين ذراعيها، برفق، ثم استقرت في جلستها على الكرسي الهزاز، بهذا الوضع اصبح برايان اكثر راحة.
فكرت في طفلها، هل كانت اصابعه طويلة رقيقة أم سمينة؟ هل كان شعره سيأخذ لون شعرها البني، أم سيكون قاتماً كشعر أليكس؟ هل كانت فترة التسنين ستمر به براحة وهدوء، أم أنه كان سيحملها على سهر الليالي كما يفعل برايان مع سام؟ سام. وتنهدت بعمق وهي تفكر كيف ان مشاعرها نحوه قد أخذت تخرج من سيطرتها تماماً كعربة قطار مشحونة بالاحزان قد

افلتت ومضت رأساً، لتصطدم بالواقع الهائل، انها عربة لم تستطع توقيفها.
ما الذي جعلها تفكر في ان بإمكانها ان توثق صداقة سهلة مع سام؟ لقد كانت تخدع نفسها فقط، كانت تريد شيئاً اكثر من الصداقة.
ماذا عن الاخوة والاخوات الذين وعد سام بيكا بهم؟
تحرك برايان قليلاً، ثم عاد الى النوم. وشمت هي رائحة بودرة الاطفال المنبعثة منه، واستمتعت بشعورها به بين ذراعيها، ولامست بشرته الناعمة... كانت تريد اختزان كل هذه التفاصيل في ذاكرتها...
كانت ما تزال تهدهد برايان عندما عاد سام، وللحظة خاطفة، ساورتها أمنية هي ان هذه هي أسرتها التي طالما هفا إليها فؤادها، ولكن هذه الامنية سرعان ما تلاشت. ان سام وبيكا يعلمانها بأن عليها ان تعيش حياتها، وان الزمن أقصر من ان يمضيه الانسان في الحسرة على ما فات.
وضع الاثنان ما احضراه من اطباق، على المنضدة التي تفصل المطبخ عن غرفة الطعام، وهما يقرآن محتويات كل طبق يخرجانه من الكيس، وفجأة، ساد الصمت، فسألتهما حائرة:«هل ثمة شيء؟»
فقال سام:«ليس لديك مائدة في المطبخ، اظن من الافضل ان نأخذ كل شيء الى بيتي.»
قالت:«ولماذا تحمل نفسك كل هذا العناء؟ إننا سنأكل على الارض، ان هناك غطاء مائدة من البلاستيك في الدرج الثالث بجانب الثلاجة.»

سرعان ما كان يبسط الغطاء الواسع على الارض، ويعد الاطباق. استيقظ برايان على رائحة الطعام، ثم طلب حصته في هذا الاحتفال.. شيئا من الأرز... بضع لقيمات من دجاج بيكا ولب الخبز.

بدا ان النوم قد حسن من مزاج الطفل، فقد ضحك ولعب لعبته المفضلة والتي هي (إقبض عليّ إذا استطعت) وعجبت ميغان لسرعته في الحركة بالهرب. وعندما كانت بيكا تركض خلفه، كان يصرخ مسروراً، ثم يجري مهرولا الى ميغان قبل ان تمسك به اخته، فيتسلق ركبتيها ثم يخبىء وجهه في صدرها. وكانت ميغان، عند ذاك، تضمه إليها، شاعر بسعادة كبرى وهي تراه يندفع نحوها لكي تنقذه من بيكا، يا له من عزيز غال. ولكن سرعان ما كان على سام ان يأخذه وأخته الى بيتهم. وعندما اخذوا يجمعون حاجيات برايان ويعيدونها الى كيسه، قالت بيكا:«اني احب تناول الطعام على الارض.»

فضحكت ميغان:«لقد رأيت في الجريدة صورة اعجبتني لمنضدة معروضة في اوكازيون، سأذهب لإلقاء نظرة عليها غداً بعد خروجي من عملي.»

قال سام:«إذا انت صممت على شرائها، فلا تدفعي اجرة احضارها الى هنا، سنحضرها في سيارتي الفان.»

«الفان؟ لا اظنك تعني تلك السيارة الرياضية الصغيرة التي ذهبنا فيها الى دار السينما؟»

قالت بيكا وهي تحتضن ميغان وتقبلها مودعة:«ان الفان كان لأمي.»

قال سام وهو يحمل الطفل ويناوله لميغان:«انني استعمل الفان حين اخرج مع الطفلين. أما السيارة الصغيرة فأوفرها للمواعيد الهامة.»

انفجرت ميغان ضاحكة، هذا الرجل لا سبيل إلى اصلاحه... فقد كان بالغ الروعة والحساسية، وبالغ الجاذبية بالنسبة الى مشاعرها.

www.rewity.com

الفصل السابع

سألت ليز ميغان وهما تتناولان طعام الغداء يوم الاثنين:«هل ستأتين معنا؟»
وعندما لم يجب احد، رفعت ميغان بصرها عن طبق طعامها الذي كان يحتوي على سلطة ودجاج مقلي، وكانت هناك ثلاثة أزواج من الأعين النسائية تحدق فيها. لاحت على شفتيها ابتسامة اعتذار لصديقاتها الجديدات. كان هذا النهار هو الأول منذ اسابيع، الذي تمكنت فيه الزميلات الاربع من الخروج من المكتب لتناول الغداء معا.
قالت:«أسفة، لقد شرد ذهني.»
شرد ذهنها الى سام، الى شعورها بفراغ بيتها بعد خروجه، وتنهدت، فقالت جولي وهي الجالسة الى يسارها:«انها تنهيدة المغرمين.»
فأضافت ميغان قائلة:«لم يتغير في وجهي شيء.»
تبادل الثلاثة النظرات، ثم قلن بصوت واحد:«هائمة.»
أخذت ميغان تحدق في كل واحدة منهن. كانت كلماتهن قريبة من الحقيقة. ثم قالت:«غيرن الموضوع.»
قالت كيلي ضاحكة:«أووه... سريعة التأثر.»
قالت ليز مؤنبة:«حان وقت العودة الى العمل، ايتها السيدات، فميغان غير مستعدة بعد لإفشاء سرها، وما علينا سوى ان ننتظر...»
اضافت الفتاتان:«ونراقب.»

كانت الفتيات الثلاث من الفضول والتطفل بحيث حمل ميغان على الضحك وهي تقول:«مع صديقات مثلكن، لا حاجة لضجيج المتطفلين.»
فتقبلن هذا النقد بمزاج حسن، وقالت ليز:«ان العمل في المكتب فاتر ممل، يا ميغان والآن وقد خف زحام موسم الضرائب، فقد أصبح لدينا وقت كاف للتطفل.»
«وأنتن تقمن بهذا بشكل ممتاز.»
فابتسمت ليز لهذا المديح الساخر، وقالت:«انه التمرين. والآن، هل نحن مستعدات للذهاب الى دار السينما الليلة؟»
اعلنت كيلي وجولي الموافقة،ونظرن جميعاً الى ميغان التي كانت تتمتم بالموافقة بفتور.
قالت ليزا:«إذا كان لديك موعد، فنحن متفهمات لهذا.»
قالت ضاحكة وهي تخرج من حقيبة يدها قصاصة من جريدة:«هذا هو موعدي.»
صرخت جولي بذعر:«منضدة مطبخ؟»
مالت كيلي تتأمل القصاصة:«قوائمها جميلة.»
فضحكت ميغان:«شكرا. اريد ان أرى ان كانت هذه القوائم تبدو بهذا الجمال شخصيا.»
تبع ذلك ضحكات من القلب. وقالت ليز وهي تنظر الى ساعتها:«لا بأس. إننا سنذهب من المكتب لنفحص تلك المنضدة، ثم نتوجه الى دار السينما. إنه دور كيلي في قيادة السيارة.»
رغم استمتاع ميغان بصحبة صديقاتها، فقد كانت تفضل قضاء الأمسية مع سام. لقد أدركت ذلك حالما

عادت لتجلس خلف مكتبها. ملأت ابتسامته الدافئة أحاسيسها وأفكارها الى حد لم تعد تعرف معه ما عليها ان تفعل. لم تعد تستطيع احتمال فكرة خلو حياتها من وجوده.

كان خروجها هذه الليلة مع الفتيات، هو بالضبط ما كانت بحاجة إليه لكي تستعيد تقييمها الصحيح للأمور، لكي تحول أفكارها الى اشخاص غيره، وإلى امكنة غير المنزل.

لقد ادركت، عندما أنهت عملها عند العصر وخرجت لتقابل صديقاتها امام دار السينما، انها تستمع حقا بوجودها مع سام. وقد ابتدأ الخوف يتملكها من ان صداقتها لن تكون كافية ابداً. ولكن أي شيء اكثر من هذا كان مستحيلا.

كانت تعرف كل هذا، فلماذا إذن تمنت، بعد شرائها منضدة المطبخ ومنضدتين صغيرتين لغرفة الجلوس، لو كان سام هناك معها؟

ولماذا هي الآن تتمنى، وهي جالسة في صالة السينما بين ليز وكيلي، لو ان سام هنا بجانبها؟ ثم لماذا، بعد ان ناقشت نفسها بسبب هذه الافكار، عقدت النية على التوجه رأساً الى منزل سام حال انتهاء الفيلم؟

عندما اصبحت خلف عجلة القيادة، اخذت تتساءل عن سلامة صحتها العقلية. كان عليها ان تتفق مع المتجر على إرسال المناضد، ان بإمكانها ان تمر عليهم عند الصباح لتخبرهم بهذا، وتتصرف بشكل عقلاني بالنسبة الى علاقتها هذه مع سام.

ولكن الذعر تملكها وهي تجد نفسها، بعد ان أوقفت

سيارتها أمام كاراجها، تتوجه رأساً الى منزل سام وتقرع جرس الباب. وكانت على وشك قرعه مرة اخرى، عندما سمعت صوت خطوات، ثم فتح سام الباب. وعندما رآها، اتسعت ابتسامته.

فتح الباب على مصراعيه قائلا:«ادخلي، اننا في منتصف حكاية قبل النوم. خمني ماذا كنا نقرأ؟»

إنه كتابها، وتألق وجهها وهي تتصور مبلغ حب بيكا للكتاب:«انني لم اقصد قطع...»

«حسنا، بما انك هنا، فإن اقل ما يمكنك عمله هو ان تساعديني.» وقبض على ذراعها بقوة يدخلها المنزل، وهو يتابع قائلا:«فالذنب، على كل حال، ذنبك إذ استعصى علي الحل.»

سألته:«ذنبي؟ وما الذي استعصى عليك في قراءة حكاية قبل النوم؟»

«الكثير، لم استطع ان اجد كلمة تتفق في القافية مع كلمة زهرية.»

اخذت ميغان تقلب الكلمة في ذهنها.

فجأة تعالى صوت بيكا هاتفا:«ميغان.» ثم سألت خالها، غافلة عن المشاعر التي تشحن الجو:«هل تستطيع ميغان ان تجد كلمة بقافية زهرية؟»

فقالت ميغان وقد صدمها صوتها اللاهث:«برية.»

«نعم... برية هي نفس قافية كلمة زهرية.»

قال سام بصوت يرتجف كصوتها:«ميغان...»

فاستدارت قائلة:«علي ان اذهب.» ولكن صوت بيكا أوقفها إذ تناديها:«ألن توصليني الى سريري؟»

نظرت ميغان إليها، ثم الى سام.
نظر في عينيها متمعنا، يحاول ان يسبر غور مشاعرها. وكانت هي ترتجف، وكذلك هو. وكانت تتجه نحو الباب هاربة، ولكنه لن يتركها تخرج من بيته بهذا الشكل.
قال لبيكا:«انها ستضعك في سريرك في ليلة اخرى، يا حبيبتي، أما الآن، فسأتي انا معك.» ثم نظر الى ميغان، قائلا:«اننا بحاجة الى التحدث في هذا الأمر. امنحيني عشر دقائق. اتفقنا؟» وانتظر الى ان اومأت برأسها موافقة، فقال وهو يتنفس الصعداء:«يوجد كولا في الثلاجة إذا كنت عطشى.»
لم تكن ميغان عطشى، وإنما كانت خائفة، وأخذت تتمشى في غرفة جلوسه وهي تجد في نفسها الضعف بقربه. ها انها تقترف غلطة هائلة اخرى، إذ تقع في غرام رجل غير مناسب مرة أخرى، ربما ليس لسام أنانية أليكس، ولكنه سبق وأخبرها بأن حياته مليئة مثقلة بالأعباء وأن ليس لديه الطاقة العاطفية التي تجعله يكرس نفسه لأن يرتبط حاليا. لقد تفهمت ذلك، كما تفهمت انه ربما لن يكون لها مكان في حياته، خصوصا عندما يعلم انها لن تتمكن من الإنجاب.
لم تستطع الانتظار هناك في غرفة جلوسه الى ان يأتي من غرفة بيكا. انه سيكون رقيقا متفهما ما يجعل قرارها ينهار كبيت من الورق إزاء نسمة هواء.
ان الكلام بينهما مهما كثر، فلن يغير من الأمر شيئاً. ومع انها كانت تعلم ان عدم مواجهتها له لا تعني سوى الجبن وعدم النضج، فقد اختارت ترك المكان. كانت

مشاعرها بالغة الاضطراب. وهكذا خرجت من منزله، مندفعة نحو منزلها.
عندما عاد سام الى غرفة الجلوس، وجدها قد رحلت. تبا لكل هذا. كيف تصرف بهذا الشكل؟ لقد كانا وصلا الى التعاهد، على ان يكونا صديقين فقط، ولكنه لم يحفظ عهده ذاك، وذلك بكل عدم اكتراث، وإهمال لشعورها، لقد طرقت بابه، وقد بدت في منتهى الجاذبية في ثوبها الاحمر ذاك بأزراره الذهبية. لقد كان امضى النهار يفكر فيها، متمنيا رؤيتها، وأن يمضي ولو ساعة معها، وعندما اقبلت إلى منزله، إذا به يتصرف كالطفل، تاركا مشاعره تفكر بدلا من عقله.
تمتم يهمس لنفسه، ما احسن ما فعلت، يا دكتور. لقد كان حلل المشكلة، واصلا الى افضل قرار، ثم إذا به يتخذ الأسوأ. وكأنه لم يسبق له تقليب كل الأمور بشكل وافٍ.
اثناء التقاطه الالعاب المتناثرة على الأرض، أخذ يفكر في إمكانية اللحاق بميغان، ان بيكا سرعان ما ستنام وبإمكانه، بعد ذلك، ان يذهب الى ميغان حيث يمضيان عدة دقائق في الحديث معا.
ولكن... أتراها ستصدقه؟ وهل ستفتح له الباب؟
غمره شعور بالإشمئزاز من نفسه، فألقى الالعاب من يده، ثم اطفأ الانوار. وفي سريره، اغمض عينيه، ولكن صورة ميغان لم تفارقه، ولم يلبث ان ادرك ان وقتا طويلا سيمضي قبل ان يستطيع النوم، وأخذ يتساءل عما إذا كان حال ميغان مثل حاله في ذلك، ونفر من

فكره ان ما قام به قد منعها من النوم. ما الذي سيقوله عندما يراها؟ هذا إذا رآها بعد الآن. ما الذي سيفعله إذا هي رفضت رؤيته مرة أخرى؟

بعد مرور ساعة من الوقت، ابتدأ برايان في البكاء، وحاول سام ان يجرب ما إذا كان الطفل يقنع بوضع إبهامه في فمه ثم يعود الى النوم، ولكنه ما لبث ان ادرك ان هذا لن يحدث هذه الليلة. فقد تحول البكاء الى صراخ، مما ينبىء عن ان الطفل يتألم. وهكذا عاد الى الطفل ليحمله من فراشه قبل ان يوقظ شقيقته، وهو يدرك انها ستكون ليلة طويلة. كان برايان جالسا في سريره وأنفه يسيل. وكان اثناء بكائه يربت على أذنيه ويرفس بقدميه. كان وجهه متوهجا، ما جعل سام يتأكد من انه يعاني من حرارة والتهاب في الأذن. فرفع الطفل من سريره وحاول ان يعطيه جرعة من دواء مخفف للألم، تقبل برايان ذلك، مع عدة رشفات من الماء، ولكنه رفض بشدة ان يدع سام يقيس حرارته. فأخذ يدندن بصوت منخفض، حتى يهدأ.

أخذ ينظر الى ميزان الحرارة... آه، انها تقترب من الأربعين... تبا لذلك... ما الذي ينبغي عمله الآن؟ قبل كل شيء عليه ان يكون هادئا، كما اعتاد ان يوصي مرضاه في مثل هذه الحالة، ولكنه يدرك الآن صعوبة ذلك عندما يتعلق الأمر بمريض يخصه، وقد ابتدأ الآن يتساءل عما إذا كان لا يعالج مرضاه بالطريقة الصحيحة. انه، في هذه اللحظة، يدرك أنه كان يقوم بذلك احيانا. ولو ان كل شيء في العالم، له هدف، كما

يقال، فإن محنة التسنين هذه قد علمت سام التواضع. أثناء انتظاره ان تظهر فعالية الدواء، وضع الطفل في حوض من الماء الفاتر. ولكن الاستحمام لم يكن ما يريده برايان بل كان يريد الخلاص من الألم.

امضى سام الساعتين التاليتين يحاول جلب شيء من الراحة الى الطفل. ولم تنفع الآن أي من الأشياء التي كان استعملها معه حين التهبت أذنه في الشهر الماضي. كل ما كان في إمكانه سام عمله هو ذرع غرفة الجلوس والمطبخ حاملا الطفل المتألم بين يديه يهدهده. ولكن برايان لم يهتم بأي من هذه الاشياء. كان يريد ان يتخلص من الألم، ولم يستطع ان يفهم سبب استمرار سام في تعذيبه بقطرة الأذن تلك، وقياس الحرارة، وغسله ووضع دواء كريه الطعم في فمه وإسماعه ذلك الغناء.

اخيرا، قرر سام ان ليس بإمكانه الانتظار حتى الصباح لكي يتصل بطبيب الاطفال. ان أندي روسيتر سيتذمر لإزعاجه من نومه، ولكنه، عدما يرى برايان، سيتفهم الأمر، فقد كانت حرارته مرتفعة وكان يتألم، وهكذا اتصل سام بالطبيب مباشرة.

ما ان أخذ موعدا للقاء الطبيب في قسم أمراض الأذن، حتى ادرك سام ان هناك مشكلة اخرى. ما الذي سيفعله بالنسبة الى بيكا؟ لم يكن يريد ان يسحبها من فراشها، فقد عانت المسكينة من كابوس سيء في الليلة الماضية، وقبل ان تعود الى النوم، ابتدأ برايان في البكاء. ما أخذ من سام قرابة الساعتين لكي تستقر معه الأمور بقية الليل، ولهذا استيقظت بيكا هذا الصباح متأخرة قليلا.

ماذا عن ايمالين؟ انه سيتصل بها حالاً، رفع سماعة الهاتف، ثم اعادها الى مكانها. ليس بإمكانه الاتصال بها فقد كانت تقيم مع ابنتها التي كانت على وشك الولادة ولم يكن يملك رقم هاتفها.

استدار ليلقي نظرة متفحصة على الكتاب الملقى على مائدة المطبخ. كتاب دكتور سبوك للعناية بالأطفال والذي كان سام وجده في بيت أخته نانسي عندما كان يحضر حاجيات الطفلين. كان الكتاب قد اهترأ تقريباً الآن... ما يشهد على كثرة استفساراته عن كيفية تنشئة الطفلين، ولكن كثيراً من الأجوبة كانت تنصح السائل بأن يتبع ارائه.

خاطب الطفل وهو يسير به نحو نافذة الجلوس:«لا اظن ان ارائي ستعثر لي على من يجلس بجانب اختك.»

لاحظ النور في مطبخ ميغان كان مضاءً ما يعني انها مازالت مستيقظة.

حك ذقنه متعباً. لقد هربت دون ان تمنحه فرصة للإعتذار وشرح الأمر. هل يعني ذلك انها ليست راغبة في سماع شرحه؟ ولكنه لا يستطيع ترك الأمور لعالم النسيان. وسواء كان ذلك قراره، أم هو علم النفس الذي تعلمه، فهو يريد حلا.

رفع برايان رأسه عن كتف سام وهو يغمغم باكياً، وكأنه بهذا يذكره بموعده مع الطبيب. ولكن سام ما زال لم يجد احداً ليجلس بجانب بيكا، إلا إذا...

هل يجرؤ على طلب ذلك من ميغان؟ وبرز ضوء آخر في بيت ميغان وكأنها قد تخلت عن كل محاولة للنوم.

كيف ستكون رد فعلها على تكليفه لها بذلك؟ الأغلب انها ستقفل الهاتف في وجهه، وهذا لن يكون اكثر مما يستحق. ان عليه ان يصل إليها بشكل ما... ان يلتمس فرصة لرأب الصدع الذي حدث بينهما.

نقل نظراته من وجه ابن اخته الذي تغسله الدموع الى الهاتف الى الأنوار المضاءة في منزل ميغان، ثم الى برايان. وساورته الثقة بأنها لن ترفضه إذا كان الأمر يتعلق بالطفلين. كما شعر بالذنب إذ يتخذ من مرض برايان طريقاً للوصول اليها و...

التقط السماعة وابتدأ يدير الرقم، ممسكاً انفاسه في انتظار جوابها، وعندما اجابته كان صوتها متردداً.

«انا سام.» وفتش في ذهنه عن مدخل للموضوع كأن يسألها عن شعورها إذ يتصل بها في منتصف الليل.

«سام... أنا...»

فشعر بأنها ستطلب إليه ان يتوقف عن الاتصال بها، ولم يكن يريد هذا... لم يكن يحتمل التفكير فيه، ولكنه لم يعرف ما عليه ان يقول. ثم ابتدأ برايان ينتحب باكياً مرة اخرى.

«ماذا... سام، هل جرى شيء لبريان؟»

كان في صوتها اهتمام حقيقي. فقال يجيبها:«اظنه يعاني من التهاب في الأذن، وهو متألم جداً هذه المرة. إنه يشتعل بالحرارة ويتألم الى درجة لم استطع معها الانتظار الى الصباح حتى تأتي إيمالين. إن علي ان آخذه الى الطبيب و...» وجذب نفساً عميقاً، عالماً بأن هذه ربما فرصته الوحيدة للوصول الى ميغان، وتابع

يقول:«انني بحاجة الى من يبقى بجانب بيكا. لقد جربت الاتصال بإيمالين ولكنها تبيت في منزل ابنتها، ان بإمكاني ان آخذ بيكا معي، ولكنها نائمة و...»
فقاطعته:«سام. هل لديك وقت لكل هذا الشرح؟»
أجاب:«كلا.»
قالت:«امنحني خمس دقائق أرتدي فيها ثيابي.»
لقد فقدت كل ذرة من التعقل، هذا ما كانت تفكر فيه وهي ترتدي ثيابها.
ولكن هذا كان امراً طارئاً. وهي تقوم بهذا العمل لأجل الطفلين، كانت تحدث نفسها بهذا وتردد هذه الكلمات دون توقف وهي تتجه نحو منزل سام، كان يحتضن برايان الذي كان يصرخ، وقد وضع كيس الحفاظات في السيارة.
بادرها يقول وهو يصعد الى السيارة:«ان بيكا مستغرقة في النوم.»
فأومأت برأسها. وسار هو بالسيارة، متراجعاً الى الخلف ليتحول بعد ذلك الى الطريق العام، ثم توقف، لياديها بينما كانت ترتقي الدرجات.
«ميغان.»استدارت نحوه. «عندما أعود، سوف نتحدث.»
اومأت برأسها وأخذت تنظر إليه مبتعداً.
تنهدت، ومدت يدها تتناول مجلة رأتها على منضدة، وإذا بنظراتها تقع على كتاب الدكتور سبوك للعناية بالطفل. فأمسكت به، شاعرة بالألم لعدم إمكانها الإنجاب، ابتسمت وهي تتصوره يتلمس طريقه نحو الأبوة بمساعدة زميل مختص بذلك.

مسكين سام، ان هذا التحول من رجل اعزب الى أب، لم يكن سهلاً، ولكن ما كان لبيكا وبرايان ان يكونا في أيد أفضل، فهو حنون، رفيق، بالغ العناية بهما، لقد بذل من نفسه بسخاء هذا الى ان جمال صفاته كان من الصعب مقاومتها.
ومع هذا، فإن بإمكانها ان لا تدع هذا الأمر يخرج عن سيطرتها... ان عليها ان تحمي قلبها، وعليها، بشكل ما، ان تجعل سام يفهم ذلك.
بعد حوالي الساعتين، كانت تغالب النعاس بعد ان تعبت من هذه التأملات، سمعت صوت اغلاق باب سيارة. وبعد ذلك بثوان، سمعت شهقات برايان المرهقة، فخرجت تعاون سام بحمل اشياء الطفل ولكن ما ان وقعت نظرات برايان عليها، حتى اندفع يلقي بنفسه بين ذراعيها. ناولها سام بطانية الطفل، ثم تنهد عندما ألقى الطفل رأسه على كتفها، وقال متذمراً:«ان الطفل سينشأ وهو يكره الاطباء بمن فيهم أنا.»
ابتسمت له ميغان بلطف:«إنه أمر سيء، أليس كذلك؟»
فقال وهو يقودها من ذراعها نحو درجات المدخل:«ثمة ما هو اسوأ، لقد فحصه أندي، طبيبه، وقرر ان بطنه حساسة عند اللمس.»
شهقت ميغان قليلاً، بطن حساسة هو شيء خطر، فقالت:«ولكنك ظننت ان لديه التهاباً في الأذن.»
كان هذا هو التشخيص النهائي، لقد أجهد كل تلك العضلات ببكائه الشديد، فقرروا ان هذا هو سبب تلك الحساسية.» وأدخلها الى المنزل مقفلاً الباب وراءهما،

ثم تابع وهو يفرك عينيه:«كانت حرارة برايان تقترب من الأربعين، ولهذا أراد الطبيب ان يستبعد المشاكل الأخرى الممكن ان تكون هناك.»

«أوه.» وتملكتها الحيرة للتوتر والخوف اللذين استوليا عليها وهي تفكر في ان مرض برايان خطير. وأخذت تربت على ظهر الطفل عندما ابتدأ يبكي مرة أخرى.

«يقول الطبيب ان أذن برايان تؤلمه عندما يمتص إبهامه. وذلك هو السبب في صعوبة استسلامه للنوم.» وكان سام يشرح كل هذا حين ابتدأ صوت الطفل يعلو.

فتمتمت وهي تلاطفه لكي يهدأ:«يا للطفل المسكين. ربما إذا انا هززته قليلاً...»

فقال:«يمكنك القيام بأي شيء تظنينه مفيداً.»

فجلست في الكرسي الهزاز، وعدلت من وضع برايان ضامة إياه بين ذراعيها بشدة:«كان يفوح منه رائحة المستشفى مما ذكرها بطفلها الضئيل الحجم الذي كانت تتمنى دوماً لو انها كانت احتضنته بهذا الشكل ولو مرة واحدة قبل ان يتوفى، ولكنه كان مريضاً جداً، فكان كل ما بإمكانها القيام به هو التقدم نحو حاضنة المواليد الذين يولدون قبل الأوان، لكي تمسك بأصابعه الصغيرة.

همس سام وهو يرى الطفل يغمض عينيه:«شكراً لك.»

فرفعت بصرها لتشبك نظراتها بنظراته... فاضطربت انفاسها.

تنحنح بهدوء وقال:«هل... هل احضر لك شراباً؟»

هزت رأسها وأجابت:«اذهب واحضر لنفسك شيئاً.»

«كل ما اريده هو حبة مهدىء عيار مليون ملغرام، وزاوية اختبىء فيها.»

فقهقهت ضاحكة:«ها قد تحولت، في ليلة واحدة، من الشعور بالقهر والإحباط، الى الإشفاق على نفسك.»

غاص في مقعد جلدي وهو يتأوه بضعف:«ظننت انني اشعر بالأسى على نفسي.» وابتسم بضعف:«فالطفل هو في الحقيقة ما أشعر بالأسى نحوه. ان كل ما اريده هو أن يزول الألم في أذنه، وتنخفض حرارته، ولكن الطبيب أصر على فحص الدم، والفحص بالأشعة وأخذ عينة من البول.»

«لا عجب في انكما مرهقان انتما الاثنين.»

اغمض عينيه لحظة قصيرة، وشعرت هي بأنه يكافح لكي يبقى مستيقظاً، فقالت:«ربما عليّ ان اضعه في فراشه.»

فتح عينيه قائلاً:«امنحيه عدة دقائق اخرى لكي يثقل نومه، إذا لم يكن لديك مانع...»

أدركت من الرقة التي بدت في عينيه، انه يفكر في طفلها جوي، فأومأت برأسها وهي تغوص في مقعدها الهزاز.

قال لها بعد لحظة صمت:«إنك لم تذكري سبب حضورك الى هنا هذا المساء.»

«كان ذلك بشأن المنضدة، هذا الى منضدتين صغيرتين حيث انك كنت وعدتني بأن تحضرها في السيارة الفان ولكن ربما من الافضل أن...»

فمال الى الأمام، واضعاً مرفقيه على ركبتيه:«كلا، ليس لدي أي عذر في انقضاضي المفاجىء ذاك، عليك...»

«ارجوك يا سام، انني متفهمة لذلك.»

أمعن النظر فيها، لحظة، ثم اومأ قائلاً:«نعم، اظنك كذلك. اننا سنكون متلائمين معا.» ونظر إليها بعينين مليئتين بالأمل، ولم يكن ثمة شيء تريده هي اكثر من ان تقول له نعم. ولكن، إذا لم تنته علاقتهما الآن، فهي ستنتهي حتما عندما يعلم بالعملية النسائية التي كانت اجريت لها، وكان التفكير في أنها لن تكون له ابدا، ما فيه الكفاية من الألم. وإذا هي سمحت لنفسها بمقدار من السعادة الآن، لن تكون نتيجته سوى مزيد من العذاب عند الفراق.

قالت تجيبه بصوت مرتجف:«لا يمكنني ذلك.»

اومأ قائلا:«سأقول لك شيئاً ربما لا ترغبين في سماعه. انني لم اشعر نحو امرأة قط من قبل، بمثل العاطفة التي اشعر بها نحوك، وهذه الليلة شعرت حقا بأنك انت ايضا، تكنين لي نفس الشعور، هل انا مخطىء؟»

كان من السهل عليها ان تكذب، ولكن عندما نظر إليها، لم يسعها إلا ان تقول:«انك غير مخطىء، ولكن...»

واندفعت تقول حين رأت الأمل يعود الى التألق في نظراته:«ولكن هناك شيئاً ينبغي ان تعرفه.»

فأومأ مرة أخرى، ثم انتظر ما ستقوله.

«عندما تركني أليكس...» وتنفست بعمق، ثم عادت تقول:«عندما ذهب، حسناً، لقد جعلني ذلك أدرك مقدار الضعف الذي كنت عليه... وكيف يكون الشخص ضعيفا في مثل هذه الأمور. ولهذا فأنا لست مستعدة لتعريض نفسي إلى مثل ذلك الألم. وأنا غير واثقة من قدرتي على ذلك ابدا.»

«كان بإمكانه ان يقوم بذلك في وقت أنسب بالنسبة إليك، ان عدم مراعاته لشعورك...»

ماتت تلك الكلمات المرة بين شفتيه، وقالت تجيبه:«إن تركه لي كان سيؤلمني دون اعتبار التوقيت لذلك. لقد كانت كل حياتي تدور حوله وحول الطفل الذي كنت حاملا به. وكنت اعتقد ان عاقبة الأمور بيننا ستكون حسنة، مغمضة العينين عن مشاكلنا وأخطائنا. ثم، عندما تركني، كان الأمر وكأنه يقول لي ان لا شيء قمت به كان حسنا بحيث أدخل الرضا الى نفسه.»

قال سام برقة:«لقد كان العيب فيه وليس فيك.»

اجابت:«لقد استغرق نسيان ذلك مني وقتا طويلا.»

«وأنت لا تريدين ان تجعلي لأحد مثل هذه السلطة عليك مرة أخرى؟»

«بالضبط.» ولم تستطع ان تقول له البقية، فقد شعرت بأنه اكتفى بما سمع، وربما، ذات يوم قريب، سيجد لنفسه امرأة اخرى. وشعرت بطعنة ألم لدى هذه الفكرة، ولكن هذا ما ينبغي ان يحصل.

سألها ببطء وهو يختار كلماته بعناية:«ولكن إذا لم يكن بإمكاننا التقدم بعلاقتنا الى الأمام، فهل تريدين ان تعودي بها الى الوراء؟» فالآن وقد أدرك مقدار ضعفها، سيكون افتراقهما عن بعضهما اكثر صعوبة، ولكن، مهما كلفه ذلك، فهو سيقوم به، فهو لا يستطيع تصور أنه سيخسرها نهائيا.

«نعود بعلاقتنا الى الوراء؟»

«اعني ان نعود لنكون مجرد صديقين كما كنا اتفقنا

في آخر مرة...» خصوصاً وعنده الطفلين اللذين عليه ان يراعي مشاعرهما. فالحب يتطلب وقتاً ليس من حقه الآن.

رددت كلمته وكأنها تزنها في عقلها:«صديقان.» ثم اومأت وهي تبتسم له. كانت الصداقة اقل ما يريده منها بكثير، ولكن هذا كان هو الأفضل من كل النواحي.

قالت وهي تنظر الى الطفل مستغرقاً في النوم بين ذراعيها:«أظن الصغير نائم حقاً.» ونهضت عن الكرسي الهزاز.

فكرت في ان الوقت قد حان لوضعه في سريره كما أنها بحاجة الى وقت تفكر فيه في السبب الذي يجعل فكرة كونهما سيصبحان مجرد صديقين، غير سارة كما يجب.

وضعت الطفل في سريره برفق. وعندما غطته، اخذت تفكر في جوي عدة دقائق، ثم اطفأت النور، وأغلقت الباب.

مشت على أطراف اصابعها عائدة الى غرفة الجلوس. كان سام متكوماً على الأريكة... مستغرقاً في النوم. فحدقت في وجهه فترة ثم خرجت الى منزلها وهي تفكر في الطريقة التي ستملأ بها هذا الفراغ في نفسها.

الفصل الثامن

أرسل إليها سام وروداً، لم تكن وروداً حمراء طويلة الساق. ولا ذلك النوع الذي يباع في متجر الزهور. لم تكن وروداً تحملها في يدها وتستنشق عبيرها، فهي حالياً، ليست اكثر من قطعة ورق من اكبر وأفضل مستنبتات الزهور في جنوب مدينة كنساس. كانت بطاقة تستطيع بموجبها اختيار ما تريده من فسائل الزهور من هناك.

سألتها ليز التي كانت تجلس الى الجانب الآخر من مكتب ميغان:«أي نوع من الرجال ذلك الذي يرسل الى امرأة وروداً عليها ان تزرعها، ما اسخف هذا.»

ابتسمت ميغان وهي تنظر الى البطاقة الهدية لاختيار ست فسائل ورد. «هذا اهتمام مشكور منه.» رغم انها لم تكن واثقة ما إذا كان قد اختار ورود بدلاً من النباتات الأخرى لأنه علم، بشكل ما، انها مصممة على إنشاء حديقة، أم أنه اختارها لأن الورود ذات قيمة كبرى، وقالت:«ان سام يعلم انني مصممة على إنشاء حديقة.»

«هذا اكثر سخفاً. اتعلمين ما سيكون للحفر في التراب من أثر على اظافرك؟ ثم الحشرات، هل لديك فكرة عما يكمن في التراب منها؟ اظن انه كان لدي موعد مع اثنين منها.»

فضحكت ميغان. ولكن ليز قالت وهي تتأمل اظافرها المجملة بعناية:«حسناً، لم يكن ذلك مضحكاً في ذلك

الحين.» وتنهدت:«العناية بالحديقة اولاً، وبعد عدة سنوات ستقومين بتربية عدد من الاطفال، وعند ذلك سيصبح دماغك عبارة عن هريسة، ان كل هذه الأمور المنزلية لن تنفعك.»

اندفعت ليز من الغرفة بنفس السرعة والخفة التي دخلت بها، وذلك خلف رجل لمحته يمر من أمام الباب، تاركة ميغان تتأمل في كلماتها. ان ليز لا تعلم ان ليس باستطاعة ميغان الإنجاب، وهذا ما جعل حزن ميغان بعد إجراء العملية، اكثر عمقا، ومع صداقتها الحميمة لليز، فإنها لم تستطع اشراكها في آلامها هذه.

ولكن ليز كانت على حق إذ تقول لها ان ذلك لن ينفعها. ذلك ان شعور ميغان نحو سام لن ينفعها بشيء.

إنها لم تستطع ان تمحو من ذهنها صورته نائماً على الأريكة في تلك الليلة. لقد بدا عليه التعب والقلق ما جعل قلبها يهفو إليه.

في جلوسها الى مكتبها، وضجيج المكتب حولها، اخذت تنظر الى بطاقة الهدية التي أرسلها إليها، وهي تفكر بكل الطرق التي يمكنها بها تقديم الشكر إليه. أمسكت ببطاقته التي كانت مثبتة مع الهدية وقرأتها مرة أخرى. (الصداقة باقية حتى آخر العمر)

هل بإمكانها ان تواجه آخر العمر هذا، إذا بقيت علاقتها به مجرد صداقة؟

شغلها هذا السؤال بقية النهار، وطوال الطريق الى المنزل. وعندما وصلت الكاراج بعد السابعة بقليل، سارت نحو منزل سام بعد ان صممت على تسوية الأمور بينهما

يوماً ما، أما الآن فهي تريد ان تقدم شكرها له لفسائل الورد كما تريد ان تستعلم عن حالة برايان الصحية بعد الليلة الماضية. قرعت الجرس، فسمعت صوت خطوات بيكا الخفيفة تسرع لفتح الباب.

«إنها ميغان. مرحبا يا ميغان، ايمالين. جاءت ميغان.» فاقبلت امرأة في منتصف العمر قد خالط الشيب شعرها القاتم، وهي تحمل برايان.

بعد ان تعارفت المرأتان، سألتها ميغان:«كيف حال برايان؟»

«إنه ما زال متوعكاً قليلاً ولكنه نام بعد ظهر اليوم.» ألقى برايان بنفسه نحوها، وعندما تناولته من ايمالين أخذ يربت على وجهها. وسألت بيكا عن خالها متوقعة انه لا بد قد عاد الى المنزل الآن في هذا الوقت المتأخر.

أجابت بيكا:«إنه في عمله.»

فقالت ايمالين تشرح الأمر:«حدث للدكتور أرمسترنغ أمر طارىء مع أحد مرضاه، إنه الآن في المستشفى ولا ندري متى يعود.»

فتابعت بيكا:«لدي شيء اريد ان اسأله عنه.»

سألتها ميغان:«وما هو؟»

فقالت ايمالين تحذر الطفلة:«انه سيعطيك نفس الجواب الذي سبق وأعطاه لك آخر مرة.»

فقالت الطفلة بإصرار:«ربما لا.»

سألت ميغان وهي تفك اصابع برايان من شعرها:«ما هو السؤال؟»

«ان كان يسمح لي بأن آخذ واحداً من جراء فرانسي.»

قالت ميغان:«لا بأس، ولكن الجرو هو مسؤولية كبرى.»
فعبست بيكا:«هذا ما قاله خالي سام.»
«حسناً، الحق معه، كما ان برايان ما زال صغيراً جداً. فهو لا يدرك ان الكلب قد يعضه إذا هو شد ذيله او أذنه.»
فقالت باستياء:«وهذا ما قاله ايضاً.»
قالت ميغان بلطف:«إذن، فهذا معناه ان الجواب ربما يكون كلا.» وحذرها صوت خفي بأنها تتدخل كثيراً في امورهم. ويبدو ان ليس لها حيلة في ذلك.
فقالت بيكا باكية:«ولكن لا يمكن ان يقول كلا، ان والدة فرانسي لديها ستة جراء لم يبق منها سوى ثلاثة، وقالت والدة فرانسي أنه إذا لم يأخذها أحد، فسترسلها الى مأوى الكلاب، وهناك سيجعلون الكلاب ينامون.»
فقالت ميغان:«ليس كل الكلاب، فهم احياناً يجدون من يأخذ الجراء خصوصاً إذا كانت لطيفة الشكل.»
«إن هذه الجراء لطيفة الشكل جداً.» وأخذت تصفها، وعلى الأخص ذلك الذي تفضله وهو أنثى بنية وبيضاء وسوداء، (أجمل ابتسامة).
فقالت ميغان وهي تتبادل ابتسامة مع ايمالين:«لم أكن اعلم ان الكلاب تستطيع ان تبتسم.»
فقالت بيكا باسمة:«ولكن هذه يمكنها ذلك. انها أذكى من كل الكلاب جميعاً. حتى والدة فرانسي تقول هذا.»
فقالت ايمالين، بينما تصاعد رنين الهاتف:«طبعاً، إن عليها ان تقول هذا.»
وبينما ذهبت لتجيب على المكالمة الهاتفية، تابعت بيكا

تعد فضائل الجرو الكثيرة بطلاقة وسعادة ما جعل ميغان تفكر في ان بيكا لبثت تتمرن على استظهار قائمة الفضائل تلك، مدة طويلة.
وضعت ايمالين السماعة من يدها، ثم استدارت تنظر الى الفتاتين وهي تهتف:«أه، لا...»
سمعت ميغان نبرة الذعر في صوت المرأة، فسألتها:«ماذا جرى؟»
«إبنتي... إنها في المخاض. رباه، لا استطيع ان اتصل بالدكتور آرمسترونغ.»
«منذ متى ابتدأت معها آلام المخاض؟»
«صهري يقول انها أمضت طوال النهار تعاني هذه الآلام دون ان تدرك ذلك.» وعادت تنظر الى الهاتف.
«لا ادري ماذا عليّ ان افعل. اريد ان اكون معها، ولكنني لا استطيع الاتصال بالدكتور آرمسترونغ وهو في المستشفى.»
قالت بيكا:«ان بإمكان ميغان ان تبقى معنا.»
قالت لها ايمالين:«ليس من الصواب ان نزعجها، ربما لديها خططها الخاصة هذا المساء.» ولكن كان في صوتها شيء من الأمل.
فقالت ميغان:«ليس لديّ خطط، اذهبي، انما كوني حذرة اثناء قيادة السيارة.» وكانت قد لاحظت قلق المرأة.
حملت المرأة حقيبتها وهي تقول:«انني لم اغسل الاطباق بعد الغداء، ولكن الطفلين تناولا طعامهما، ثمة بعض الطعام في الفرن لعشاء الدكتور. اتظنين انه سيتضايق لتركي المنزل؟»

قالت ميغان تأمرها مرة أخرى:«إذهبي، انني متأكدة من ان الدكتور آرمسترونغ سيتفهم الوضع.»
ابتسمت المرأة:«نعم، بالطبع انه يقول ان المرأة لا تصبح جدة لأول مرة، الا مرة واحدة في حياتها. بيكا، ساعدي الآنسة ماكاليستر، اتسمعين؟»
«نعم، سأفعل.»
فمنحت المرأة كلاً من الطفلين قبلة سريعة، ووعدت بيكا بأنها ستتصل عندما تعرف جنس الطفل، ثم قالت لميغان بأن تخبر سام.
طمأنتها ميغان الى ذلك، ثم سارت معها الى الباب.
اوقف سام سيارته، وألقى نظرة على الساعة... انها التاسعة والربع. لقد كان يوماً طويلاً وشاقاً، ترجل من السيارة، ومن ثم توجه نحو باب منزله، لا بد إذا كان محظوظاً، ان يجد بيكا على وشك النوم، وبرايان نائماً، وحدث نفسه، حسناً، ما دمت أحلم، فلماذا لا أحلم بالطفل وقد شقت اضراسه جميعاً وانتهى طور التسنين؟ دخل وهو يحبس أنفاسه للصمت الذي واجهه، أيمكن ان يكون الطفلان الآن نائمين فعلاً؟
لا بد أنه في منزله، فهذه الألعاب متناثرة في غرفة الجلوس. ثم سمع بيكا وهي تتقدم نحوه في الممر.
قالت له وهو يحملها ويضمها إليه بشدة:«ان إيمالين هي جدة الآن.»
«جدة؟ متى حدث هذا؟»
«منذ فترة صغيرة فقط، انها طفلة وأنا سأشركها معي في استعمال طوق شعري.»

«أظن هذه فكرة رائعة، وأنت سيدة صغيرة عاقلة جداً لأنك تشاركين الآخرين اشياءك.»
فضحكت ودفنت وجهها البريء في كتفه.
سألها وهو ينظر في الممر:«ومن أحضرت ايمالين لكي تمكث معك ومع برايان؟»
«ميغان.»
فتوقف عن السير، لم يعرف كيف حدث وجاءت تمكث مع الطفلين، ولكنه كان سعيداً مبتهجاً بما حدث، إنهم الاشخاص الثلاثة الذين يريد رؤيتهم اكثر من غيرهم بعد يوم طويل شاق.
قالت له بيكا وهو يفتح باب غرفتها:«إنها في غرفة برايان تعطيه زجاجة الحليب.»
«هذا هو السبب إذن لكونه هادئاً.» تابع طريقه الى غرفة برايان، إنه لن يخاطر بشيء، فرحلته الى المستشفى هذا المساء لمعاينة مريض، جعلته يدرك أهمية ان يجد شخصاً يتحدث إليه، ان يشاركه مشاعره...
سار نحو باب غرفة برايان، وما لبث ان توقف حين شعر برغبة تخترقه كسكين، ذلك انه في تلك اللحظة التي سبقت رؤيتها له، كان رأس ميغان منحنياً على الطفل وقد امتلأت نظراتها بالدفء والحنان وهي تحتضن الطفل.
لم ير امرأة قط في مثل جمالها هذه اللحظة. هل هكذا يشعر الرجل عندما يرى زوجته تحتضن طفله؟
رفعت نظرها وابتسمت له، وقف لحظة يستوعب هذا المشهد الذي يمثل أسرة ومنزلاً، عالماً بأن لا شيء آخر يمكن ان يشعره بهذا الاكتمال... بادلها الابتسام وهو

يتقدم الى حيث كانت جالسة على الكرسي الهزاز، وقال:«ها هي ذي ميغان تأتي لإنقاذنا، مرة أخرى.»
ضحكت بيكا، وأدار برايان رأسه بخفة نحو الصوت، وعندما رأى سام، تألقت عيناه الناعستان ورفع يده الصغيرة، فمد سام إليه اصبعه، فأمسكه برايان وهو يضحك له، فسالت قطرات اللبن من زاوية فمه، فمسحت ميغان اللبن بطرف المنديل التي كانت وضعته تحت ذقنه. كان تصرفها هذا طبيعيا وكأنها اعتادت اطعامه في أغلب الأحيان، وليس لأول مرة. فكر سام في انها أم طبيعية، وتصورها حاملا بطفل منه، والآن، ماذا بإمكانه ان يفعل إزاء هذا؟
سمعت سام يتنهد، ورأته يحول نظراته عنها نحو برايان. كانت عينا الطفل مغمضتين الآن، فسحب سام اصبعه من قبضته بخفة.
قال بصوت خافت:«سأذهب لأضع بيكا في سريرها.»
همست بيكا:«اريد من ميغان ان تفعل ذلك.»
فأومأت برأسها، وبينما خرج من الغرفة وبيكا بين ذراعيه، شعرت هي بخفقات قلبها تتسارع. كانت مشاعرها تشتد في كل مرة تكون هي فيها هنا تساعده مع الطفلين. انها بحاجة الى التحكم في مشاعرها، ولكن مشاعرها تلك تأبى ذلك.
كانت تشعر بالسعادة وهي تعتني بالطفلين، فتضعهما في حوض الحمام، تساعد بيكا في ارتداء قميص نومها الصغير، وتدخل برايان في بيجامته ذات القطعة الواحدة. تقرأ قصة لبيكا بينما تعطي الطفل زجاجته.

ثم ترى سام يدخل المنزل، ولو أنها اطلقت لتخيلاتها العنان، لاعتقدت ان هذه أسرتها الصغيرة، وأنه عائد الى المنزل بعد يوم طويل شاق.
يا لسهولة ذلك، ويا لجماله... ويا لعدم فائدته...! وتعيدها الى الواقع هزة عنيفة... هزة هي بحاجة إليها، وأخذت تعنف نفسها. وارتخت شفتا برايان وكادت تسقط زجاجة اللبن من بينهما. فأبعدتها ميغان ثم وضعته برفق في سريره، وغطته، ثم اطفأت النور.
كان سام ما يزال في غرفة بيكا، جالسا بجانبها بينما كانت هي مستغرقة في سرد فضائل الجرو، وكان هو يستمع إليها ولكن ميغان أحست بأنه على وشك ان يعلن جوابا حاسما بالنفي. ولا بد ان بيكا أحست بنفس الشيء. فقد قالت لميغان عندما رأتها واقفة عند مدخل الباب:«اخبرته كم هي جميلة وذكية.»
نظر إليها سام بفضول، فقالت:«لقد قمنا برحلة قصيرة الى منزل فرانسي لكي نرى الجراء، كانت لطيفة المنظر، ولكن الجرو، يا بيكا، يستلزم عملا كثيرا، وخالك سام ليس لديه وقت فراغ حاليا.»
ابتسم سام شاكرا، بينما حبست بيكا انفاسها، قائلة بإصرار:«انا سأعتني بها... ارجوك. انك لن تقول كلا، لا يمكنك ذلك، قالت أم فرانسي ان الجراء يجب ان يكون لها بيت غدا، كل الجراء.»
ضاقت عينا سام بارتياب، فقالت ميغان:«ذلك لأنه بينما ذهب سكان المنزل الى متجر الاغذية لشراء طعام الجراء، تجمعت الجراء الثلاثة وسرقت حذاء هيلين

الجلدي الجديد. وبعد ذلك تقيأ واحد منها على سجادة غرفة الجلوس الجديدة.»

زاد ضيق عيني سام وقال:«ها قد ابتدأت اتخيل هذه الصورة هنا.»

«هذا ليس كل شيء، لقد قام اثنان منها... بإتلاف السجادة الجديدة لغرفة الجلوس تلك.»

قال سام:«اظن ادوارد وهيلين فرشا هذه السجادة حديثاً.»

اومأت ميغان قائلة:«أخذت الجراء الثلاثة تركض وتتسابق على السجادة الجديدة كعادة الجراء غير المدربة.»

تنهد، ثم استدار الى بيكا:«يا حبيبتي...»

فقالت متوسلة:«ارجوك، لا تقل كلا، ارجوك، قل انك ستفكر في الأمر.»

«لقد سبق وفكرت و...»

«قل انك ستفكر اكثر... ارجوك. ارجوك.» زمت فمها بأسى، وجعلت عينيها وكأن الدموع توشك ان تنهمر منهما، ورأت سام يستجمع نفساً عميقاً وكأنه يتهيأ لمعركة ليس منها مناص، ثم ما لبث ان تنفس ببطء، فكتمت ميغان ابتسامتها عندما قال لابنة أخته انه سيفكر في موضوع الجرو هذا.

قالت له بعد ان قبلا بيكا، وغطياها، ثم اطفأ نور الغرفة:«ألم يطاوعك قلبك على ان تقول كلا؟»

سار معها الى غرفة الجلوس وهو يجيبها قائلاً بانزعاج ساخر:«ولكنني لم اسمعك انت تقولين كلا.»

قالت:«إن هذا الأمر لا يخصني.» ثم اضافت:«لقد

وضعت لك إيمالين عشاءك في الفرن قبل ذهابها.»

«انني لست مستعداً لتناول العشاء بعد.»

وعندما تنهد، تفرست في جيبنه المقطب ونظراته الشاردة. كانت كلها تعبر عن أفكاره المتألمة.

سألته:«هل تفكر في مريضتك؟»

اومأ برأسه وتنهد:«انها امرأة شابة، أم لثلاثة اطفال. لقد ابتدأت بمعالجتها منذ اسبوع فقط، انها أول مريضة جديدة اعالجها منذ جاء الطفلان للعيش معي.»

«هل هي بخير؟»

«ستتحسن. إنما دون عرفان جميل مني.» وبدت في صوته مرارة جعلتها تسأله:«هل حاولت ان تقتل نفسها؟»

«لقد اغلقت باب الكاراج وادارت محرك السيارة.»

قبض يده بقوة تابع:«إنني لم ادرك ان هذا قد يحدث.»

استدارت ميغان تواجهه، وعندما رأت ما ارتسم في عينيه من ألم، وضعت يدها على يده، قالت:«سام، انه ليس ذنبك.»

«ان جزءاً مني يعرف ذلك، ولكن الجزء الأكبر يتمنى لو كنت تكهنت بمبلغ عمق الاكتئاب الذي كان يتملكها... قبل ان يحملوها الى المستشفى.»

«ولكنك قلت بنفسك انها جاءت إليك في الاسبوع الماضي فقط، كم جلسة عقدت لها؟»

«اثنتان. واليوم موعد الثالثة. عندما لم تحضر... أخذت اتساءل... طلبت من سكرتيرتي ان تتصل هاتفياً بها. لم يكن هناك جواب. وجدتها ابنتها المراهقة على وشك الموت.»

«سام. لقد آلمك هذا تماماً، أليس كذلك؟»

«في المستشفى، كانت ابنتها. والطفلان الآخران كانا جالسين والألم يكسو ملامحهما. لقد هجرهم والدهم. نهض ذات صباح وقال الوداع، ثم رحل.»

«وماذا حدث لهم؟»

رأى سام الألم في عينيها مزيجاً بالعطف. بدت أنها ستأخذ دون شك، الاطفال إليها لو سنحت لها الفرصة. لقد أراد هو ذلك، ايضا، ولكنه لا يستطيع ان يتحمل المزيد من المسؤولية. هذا الى ان القوانين والأنظمة لا تسمح بذلك.

«ان مشاريع الخدمات الاجتماعية ستأخذ الاطفال إليها الى ان تصبح صحة أمهم سليمة.»

قالت بحزم:«إذن، فقد قمت بكل ما بإمكانك عمله.» لقد تألمت وهي تراه يتألم. أرادت ان تقوم بشيء... أي شيء يذهب بهذا الألم ويرفع ذلك الحمل عن كاهله.

قال بصوت منهك:«اعلم ذلك. ولكن رؤيتها في ذلك السرير في المستشفى سماع بكائها، ومعرفة مقدار الخوف الذي تملك اولادها... كل ذلك ذكرني مبلغ أهمية ان يكون لدى المرء شخص يتحدث إليه، يمسك بيده إذا هو شعر بالوحدة.»

وتذكرت مبلغ العزاء الذي شعرت به في أول مرة أمسك فيها بيدها بينما كانت تبكي طفلها الذي فقدته... تذكرت ذلك وهي تقول:«فقط يمسك بيدها.»

ردد كلماتها:«فقط يمسك بيدها، لا ضغوطات، لا توقعات... انني واثق من ان هذا يكفي تماما.»

إنه بحاجة الى العزاء حقاً، بحاجة إليها. هذه الليلة، في المستشفى مع مريضته وأولادها الخائفين، جعلته يواجه مواطن ضعفه.

سألها:«اتراني احاول العمل اكثر من اللازم؟ أترين طريقتي في العمل لا تترك تأثيراً في الآخرين؟»

استدارت تنظر إليه قائلة:«عندما وصلت هذه الليلة، ركضت بيكا إليك واحتضنتك. وعندما كانت في منزلي يوم الأحد، كانت تقول على الدوام، اثناء الرسم، خالي سام قال، خال سام قال. انها تحبك.»

«ولكن برايان... انه بحاجة الى الكثير، وأنا اخشى...»

قاطعته قائلة:«لا تقل هذا... انك دوما موجود عندما يحتاجك. ويا لتلك الابتسامة التي منحك إياها عند وصولك. كان لا يهمه ان يفقد الحليب من فمه في سبيل ان يبتسم لك.»

فضحك بلطف قائلاً:«نعم. ان افضل وقت في اليوم هو عندما اجلس قرب سريره قبل ان ينام.»

«إن نومه بين ذراعيك، يعني الكثير من الحب والثقة. لقد انتشلت الطفلين من صميم المأساة، ثم ادخلت السعادة الى نفوسهما. ثم انك ساعدتني على النسيان، الى درجة كبيرة.»

ارتسمت ابتسامة على فمه:«هل فعلت انا كل ذلك؟»

«نعم. ولكن انتبه، ليس كله في وقت واحد.»

فضحك:«هذا صحيح. عليّ ان احتفظ برؤيتي الصحيحة للأشياء، أليس كذلك؟»

كانت ضحكتها هي كل ما يريد.

قال:«اشكرك يا ميغان لحديثك الرائع هذا، ان بإمكانك ان تكوني طبيبة نفسانية جيدة.»
هزت رأسها قائلة:«اشكرك. ولكنني سألتصق بالمحاسبة، ففي الارقام لا يوجد مفاجآت.»
«أظن ذلك، ولكن هنالك شيء ما زال يثير عجبي، وذلك منذ اعطيت بيكا ذلك الكتاب... وهو لماذا تختار امرأة مثلك لها نواحيها المبدعة، مهنة مثل المحاسبة؟»
«لأن والديها الواقعيين جداً فكرا في صعوبة ان يحصل شخص معيشته من وراء كتابة كتب للأطفال.»
«ولكن هذا يحصل. هل سبق وفكرت في ذلك؟»
«وأترك مهنتي في المحاسبة؟»
«بل تتحولين الى مهنة أخرى.»
«ان مهنتي تعجبني اما الرسوم والأغاني التي اضعها، فهي مجرد هواية. وأنا سعيدة بذلك.»
«سعيدة، هذا هو بيت القصيد.» وسكت لحظة.
فسألته:«اما زلت تفكر في مريضتك؟»
تنفس بعمق وهو يجيب:«نعم، انها لم تتوقع قط ان يهجرها زوجها. وكانت تحاول ان تتمالك شتات نفسها لكي تستطيع ضم اولادها إليها. وعندما انعشها طبيب الطوارىء، كان كل ما استطاعت التحدث عنه هو ما كانت تشعر به من الحزن القاهر.»
سألته ميغان بلطف:«هل كنت موجوداً هناك؟»
«أه، نعم.»
«إذن، بإمكانك ان تساعدها على اجتياز كل ذلك بشكل افضل.»

«اظن هذا ما يقلقني، وهو ان لا اتمكن من مساعدة تلك المرأة وأولادها، لقد فقدوا والدهم، ويخافون من فقدان والدتهم ايضا.»
«انك ستجد وسيلة لمساعدتها على اجتياز المحنة إذا هي سمحت لك بذلك.»
ردد كلماتها مفكرا:«إذا سمحت لي. الحق معك فهذا يجب ان يكون قرارها هي، لا أدري من اين تأتيني كل هذه الشكوك والرثاء لحالي.»
وقفت وهي تقول:«من الارهاق. انك بحاجة الى النوم. لقد كان برايان حسن المزاج هذا المساء، ولكن...»
تأوه وهو يقاطعها:«لا تذكريني بسرعة تغيير ذلك.»
وخارج الباب، وقفت تنظر إليه باسمة:«بالمناسبة اشكرك لإرسالك الورود. وأنا متلهفة للذهاب لإحضارها، هل كنت تعلم انني كنت افكر في وضع اصص ورد في الشرفة.»
ضحك وقال:«نهار الأحد، عندما كنت تحملين برايان في الكرسي الهزاز، وكنت انا اسكب الطعام الصيني في الاطباق...»
فقالت تحثه:«وبعد ذلك.»
«رأيت على المنضدة مجلة عن العناية بالحدائق مفتوحة على مقال موضوعه زراعة فسائل الورد. ففكرت في ان هذا ما تعتزمين القيام به.»
«هذا ذكاء حاد، تصبح على خير.» همست بذلك وهي تندفع عائدة الى منزلها.
اخذ سام يتابع ببصره ذهابها، الى ان رآها تدخل

منزلها. وعندما دخل منزله وأغلق الباب، اخذ يتأمل في ما كانا يتحدثان فيه.

إنه لم يشعر قط، بعد أمه وأخته، بمثل هذا التقارب من امرأة. عاطفي وغير عاطفي ايضاً، حديث الصداقة الذي حدث بينهما كان رائعاً، وشعر بالصداقة نحو امرأة تجذبه عاطفياً، شيئاً جديداً تماماً بالنسبة إليه.

ولكن كل آرائه في النساء كانت تغيرت فجأة منذ موت أخته وقدوم طفليها إليه. اصبح يحب البساطة والعفوية في المرأة، والمرونة وان تكون جديرة بالثقة، هما صفتان ممتازتان. وروح النكتة شيء لطيف، اما تمكنها من تدبر أمر برايان في فترة التسنين هذه، فهو الافضل.

كان يفكر في حياته السهلة التي كانت منذ ستة أشهر، ولكنه، في الحقيقة، ما كان ليرضى بأن يستبدل حياته، بهذين الطفلين. وكذلك بعلاقته مع ميغان. فهو لم يجد التحدث الى امرأة بمثل هذه السهولة من قبل، كلا ولا سمح لنفسه باظهار مثل هذا الضعف امامها، لقد شعر في اعماقه، منذ البداية، بأن في امكانه ان يثق بها في كل شيء حتى باطلاعها على اعمق مخاوفه.

ما نوع شعوره نحو ميغان؟ لا بد أنه شيء غير عادي ولكن، متى سيجرؤ على تقبل واقع الأمور؟

الفصل التاسع

سوّت ميغان بيدها التربة حول فسائل الورد التي غرستها للتو، ثم جلست القرفصاء تتأملها. لقد زرعتها حسب تعاليم بائعة الزهور، وكانت لا تتمنى سوى ان تنمو هذه بنفس جمالها في الصور التي أبرزتها المجلة.

بالنسبة الى الورود، ان عليها ان تحضر الأصص وتملأها بالسماد، ولكنها كانت متلهفة الى ان تري سام ما انتقته منها، لقد كانت هذه الورود الزرقاء والمرجانية والصفراء أجمل ما رأته قط من الورود من قبل، وأذكاها عبيراً. وكم كان سام ذكياً وهو يرسل إليها مثل هذه الهدية التي لا يضاهيها أي هدية أخرى الى اظهار ما هو جميل في الحياة، وليس فهمه فقط.

كانت تفكر في تمني ما لا يمكن ان يحدث بينها وبين سام، عندما سمعت ضجة جعلتها تندفع نحو السياج الذي يفصل بين فناءهما، كانت بيكا تقف هناك ممسكة بيد عربتها اليدوية الحمراء التي حشرت فيها صندوقاً من الكرتون.

«مرحبا بيكا، ماذا يوجد في الصندوق؟»

بدت على شفتي الطفلة ابتسامة مكتومة. «انها هدية لك، لقد فكرت في كل هذا وحدي، هل استطيع ان ادخل وأقدمها إليك؟»

اجابتها ميغان وهي تفتح البوابة:«طبعاً، ليس لك ان تحضري إليّ هدية يا حبيبتي.»

فقالت بيكا وهي تدفع العربة نحو درجات المدخل:«أنا اريد هذا.»

اغلقت ميغان البوابة، ثم لحقت ببيكا. ولكنها ما لبثت ان توقفت وهي تسمع صوتا آخر... لا بد ان هذا الصوت أت من داخل الصندوق. ما عسى ان يكون؟ ومشت نحو الفتاة.

قالت بيكا بلهفة:«إفتحي الصندوق.»

وما ان فتحته ميغان، حتى تحرك الصندوق وبدأ شيء في داخله يخمش جدرانه محاولا الخروج، وما لبثت ميغان ان ادركت ما عسى ذلك ان يكون، فتوقفت. لقد سبق وأبدت اعتراضها على هذه الهدية بالذات ولكن كيف تبدي رفضها دون الإساءة الى مشاعر الطفلة؟ وقبل ان تجد الكلمات المناسبة، كانت بيكا قد أكملت فتح الصندوق.

كان المخلوق المكسو بالفراء واقفاً على قدميه الخلفيتين، ومخالبه الأمامية على حافة الصندوق. كان عبارة عن جرو أشبه بكرة بيضاء وبنية اللون، ذي إذنين طويلتين متدليتين وعينين كبيرتين بالغتي الحيوية، وذيل دائم الحركة.

صاحت بيكا بصوت مرتفع:«ألا تحبينه؟»

اخرجت الجرو وحملته متدليا في الهواء، ثم رفعته على مدى ذراعها، ما حمل ميغان على التدخل لإنقاذه. وهي تسألها:«أحبه؟»

فقالت بيكا ضاحكة:«إنه صغير.»

ولكن...» وهي تحاول ان تضم الجرو بين ذراعيها.

«إنه يحبك؟ والآن نحن الإثنتان لدينا جروان.»

«نحن الإثنتان؟»

«نعم. قال خالي سام انه سيقبل الجرو، إذا قبلت إيمالين بذلك. وقبلت هي، وهكذا احضرت لك واحدا، إنه آخر الجراء.»

تنفست بعمق:«آه، يا بيكا.» وتمالكت شجاعتها لتقول ما يجب ان تقوله:«هذا لطف كبير منك...»

«كنت اعلم انك ستحبين (دستي).»

«دستي؟»

«هذا هو الإسم الذي أطلقناه، انا وفرانسي، عليه.»

والآن، ماذا عليها ان تفعل بهذه الإضافة الإجبارية الى عملها المنزلي، والتي فرضتها عليها هذه الطفلة؟

أخذ الكلب يتحرك بين ذراعيها، فوضعته على الأرض، فوضع أنفه في العشب متشمما يحاول، بذلك، استكشاف ما حوله باهتمام، ثم اتجه نحو بيكا حيث وقف واضعا مخالبه الأمامية على ساقيها. وعندما اخذت تمر بيدها على رأسه، اخذ ينبح شاكرا، ثم عاد يركض لاستكشاف المزيد.

جلست ميغان على درجات المدخل، ثم مدت يديها تمسك بيدي بيكا:«بيكا، ان الجرو هو مسؤولية كبيرة...»

فقاطعتها الصغيرة برزانة:«أعلم ذلك، ومن حسن الحظ انك كبيرة، اما انا فسيساعدني بالنسبة الى (أمبر) خالي سام وإيمالين.»

«أمبر؟»

«هذا هو الاسم الذي اطلقته والدة فرانسي على جروي.»

تنهدت ميغان قائلة:«ولكن الجراء مثل الاطفال، يا بيكا، انها بحاجة الى من يوليها عنايته أكثر الوقت وأنا في عملي طوال النهار.»

فعبست بيكا، ولكن وجهها ما لبث ان اشرق:«أعلم ذلك، بإمكان أمبر ودستي ان يلعبا معا عندما تكونين في عملك، هنا في فنائك على الأرجح، وبهذه الطريقة، لن يزعج أمبر إيمالين عندما اكون انا صباحا في المدرسة، وعندما أعود، سأضع لهما الماء ليشربا ثم ألعب معهما.»

أدركت ميغان ان بيكا تحاول ان تجعل رفضها للجروين مستحيلا وهي ستحزن تماما إذا اصبح عليها ان تعيد الجرو الى فرانسي ومن ثم يرسل الى المأوى.

ولكن كان على ميغان ان تعترف بأن الجرو في غاية الحلاوة. وتمددت بيكا على العشب فأخذ الجرو يقفز وهو ينبح، ويعض رباط حذائها. ثم لاحظ ان ميغان تنظر إليه فتألقت عيناه وفتح فمه بشكل لا يمكن ان يوصف إلا بأنه ابتسامة كلبية، ثم اندفع نحوها واضعا انفه تحت يدها الى ان رفعتها وأخذت تلاطفه بها، وسرعان ما كان يقفز الى حجرها ثم يستدير حول نفسه مستقرا.

ضحكت ميغان لتصرفاته هذه، مدركة ان الضحك هو فعلا ما هي بحاجة إليه في حياتها، ما جعلها تقول للجرو: «أوه، لِمَ لا؟ يمكنك ان تبقى هنا.»

صفقت بيكا بيديها فرحة:«كنت أعلم انك ستحبينه.»

قالت ميغان:«وهل فيه شيء لا يجلب الحب؟»

ومرّت بيدها على وجهه بسرعة، ثم وضعته على الأرض

وهي تنظر في ساعتها:«أظن أنه ما زال ثمة وقت أذهب فيه الى المتجر لأشتري ما يحتاجه، اتريدين المجيء معي؟»

«نعم، سأذهب لأخبر خالي سام وأعود حالاً.»

امسكت ميغان بدستي تمنعه بذلك من ان يلحق بالفتاة خارج البوابة، وهي تقول لها:«إسألي خالك عما إذا كان يحتاج شيئا لنحضره له معنا.»

وفي النهاية، ذهبوا جميعا الى المتجر، سام وميغان والطفلان والجروان، وضعوا برايان في عربة التسوق في المتجر، والجرويين في الخلف بينما أخذا في شراء طعام الجراء، وطوقين لهما، ولجامين وسلتين للنوم وطبقين للطعام وألعاب للعبث بها، وكانت الأخيرة هامة جدا حسب قول بيكا التي التقطت لعبتين تحدثان صوتا لكل من دستي وأمبر. كما أصر سام على شراء العديد من الألعاب التي يمكن مضغها وذلك لكي تلهي الجروين عن التجوال في الأنحاء وتدمير ما بإمكانهما تدميره. وقد وافقته ميغان على هذا.

بعد ان دفعوا ثمن الاشياء واتجهوا نحو الباب، توقفت ميغان لتلتقط كتيبا عن البيطرة، الإصابات... التغذية الصحيحة للجراء وإرشادات أخرى هامة، كما يتضمن فصولا عن التدريب على الطاعة. وفي طريق العودة، أخذ الجروان يقفزان ويعبثان في مؤخرة السيارة الفان، يحتفيان ببرايان وبيكا.

بهدوء تام، سأل سام ميغان:«ما الذي جلبناه لأنفسنا؟»

اجابت بنفس الصوت الهادىء:«الكثير من الازعاج والخسائر، وشيئاً من الضحك والحب.»
فقهقه ضاحكاً وهو يقول:«لم تكن لدي فكرة عما كانت بيكا تهدف إليه عندما طلبت مني أن أساعدها في إخراج عربتها من الكاراج.»
«لقد فكرت جادة في ان اقتلك، او ان أعذبك، على الأقل. ولكن بيكا ما لبثت ان اخبرتني بأن الفكرة هي فكرتها.»
قال وهو يدير مكيف الهواء:«يبدو الجو حار هنا. أليس كذلك؟»
«نعم، إنه كذلك.»
عندما أوصلها سام، هي والجرو، الى منزلها، اخذت تحدث نفسها. وهي تضع الجرو حيث يمضي ليلته، بأن علاقتها مع سام ليس لها مستقبل. ليس ثمة إلا وجع القلب...
كان البدر عالياً في قبة السماء، وكانت هي تحلم بسام، عندما ايقظها شيء ما، ثم سمعت الجرو دستي. كان نباحه الآن قد تحوّل الى أنين ليستجلب الانتباه، فوضعت ميغان الوسادة فوق رأسها. كانت هذه ليلة الجرو الأولى وحده في هذا المكان، ولكن كان عليه ان يتعود على ذلك.
وعندما مرّت نصف ساعة. لم تستطع ميغان ان تصبر اكثر من ذلك، فنهضت وسارت الى غرفة الغسيل وعلى ذراعيها بطانية وفي يدها منبه، راجية ان يتمكن دفء البطانية، وتكات الساعة المنبهة، من جلب النعاس الى عينيه.

تغير نباحه من الأنين الى المرح عندما فتحت الباب، فأخذ يدور حول كاحليها مسروراً، وضعت البطانية على فراشه، والمنبه بجانبه، فأخذ يتشمم الإثنين، ثم حاول ان يتبع ميغان الى خارج الغرفة.
ثلاث مرات أمسكت به وأجلسته على البطانية، وثلاث مرات ركض خلفها نحو الباب، وأخيراً، اخرجته من المنزل. وعندما وقفت في المدخل أمام الباب، رأت الانوار في مطبخ سام، مضاءة.
وإذ تذكرت آلام الأذن التي كان يعاني منها برايان منذ ليال، قررت ان تتصل بسام لتسأله إن كان بحاجة الى مساعدة منها، وابتدأت تدير الرقم.
وعندما اجابها بصوت خشن، سألته:«هل برايان بخير؟»
«نعم، انه ينام كالطفل الصغير، وأنا لا أقصد التلاعب بالألفاظ.»
وإذ شعرت بالضيق في صوته قالت:«إذاً، فلا بد ان ما يزعجك هي الجرو أمبر.»
تأوه قائلاً:«يجب علي ان اجري فحصاً لدماغي لموافقتي على إدخال جرو الى منزلي، أي شؤم تملكني ما جعلني أقبل بهذا الأمر؟»
«ان فتاة صغيرة ذات عينين زرقاوين كبيرتين، وشفة سفلى مزمومة إستياء، تكفي لكي يجعل من المستحيل عليك ان تقول لا.»
فضحك، ثم عاد يتأوه قائلاً:«هل أيقظك دستي انت ايضاً؟»

«نعم، لقد ظننت ان وضعه في الخارج قد ينفع، ولكنني أظنه لا يحب الوحدة.»

«حسناً، ليس لدي فكرة عن تهدئة هذه الجرو عندي، لكي أنام، وأيضاً بالنسبة الى نفاد صبري، إن هذه هي الليلة الأولى التي لم يستيقظ فيها أي من الطفلين، وبدلاً من ان أنام، أراني... أراني... تباً لك من كلبة، كلا، كلا، كلا.»

استمعت إليه ميغان باسمة وهو يشتم الكلبة، وأخيراً قال:«لم اعد استطيع، لقد دفعت مبلغاً كبيراً من المال على الألعاب لكي تلتهي بها، ولكن كل ما تريد عمله هو مضغ الخيزران المجدول في فراشها.»

فقالت بعد ان سمعت انه في حيرة من أمره، ويريد شيئاً من الراحة بعد تلك الأيام الصعبة، قالت له:«ان لديَ فكرة، لماذا لا أحضر أمبر لتكون بصحبة دستي هنا عندي؟»

شعرت بأنه يزن هذه الفكرة في رأسه، بجد، ولكن ضميره تحرك، فقال:«ولكن ليس من حقي ان استغلك بهذا الشكل.»

أصرت قائلة:«ان الأمر يستحق المحاولة، فهما يفتقدان بعضهما، وقد يهدآن إذا ناما معاً.»

فقال ببطء:«حسناً...»

تملكها العجب وهي تراه يهتم بأمرها رغم ما يكابده من إرهاق وقالت له:«ضع عليها اللجام، وسأحضر انا لأخذها، دعنا نجرب ذلك قبل ان نخسر المزيد من النوم.»

ضحك بجفاء وهو يقول:«نعم، فليس بإمكاني تحمل المزيد من ذلك، بشرط ان تعديني بالخروج لتناول العشاء معي ليلة السبت، ذلك لأن عليّ ان أهيىء جليسة للطفلين منذ الآن.»

فترددت، ان تناول العشاء معه هو خطوة اخرى نحو الخطر.

وقبل ان تجيب، قال:«لا اريد كلمة لا، جواباً، إنني سأعد أمبر بظرف دقيقة واحدة.»

وأقفل الهاتف، تنهدت ميغان وهي تضع السماعة ثم تضع عليها ثوبها المنزلي. كانت أمبر تدور حول سام لاهثة، ما جعلته يشتبك بلجامها اثناء محاولته إنزالها الدرجات، وسمعته ميغان يشتم ويتذمر وهو واقف ينتظرها.

تنفست بعمق وهي تتجه رأساً نحو الدرجة السفلى من الشرفة:«ارجو ان تكوني عالمة بما انت مقدمة عليه؟»

فأجابت:«نعم، تصبح على خير سام.»

* * *

ليلة الخميس، أخذ سام ميغان والطفلين الى مكان تناولوا فيه المرطبات، ثم خرجوا ليحضروا أثاث المطبخ الذي كانت أوصت عليه. وفي طريق العودة حاولت ان لا تتثاءب، خصوصاً أمامه.

احب الجروان اللعب معاً اثناء الليل، في الليلة الأولى، اخذا يتقافزان، في غرفة الغسيل ساعات قبل ان يهدآ في النهاية، والليلة الماضية احضرت ميغان أمبر حالما

وضع سام الطفلين في سريرهما، آملة ان فترة من اللعب، للجروين، في الفناء الخلفي، قد تتعبهما فيخلدان الى النوم في غرفة الغسيل.

وقد ناما الى حوالي الساعة الثانية صباحاً حين أيقظ دستي أمبر، ثم مضى يعلمها كيف تتبح.

اثناء شتائم ميغان التي انهالت على الجروين، ألقت بنظرها نحو منزل سام، وإذ لاحظت الأنوار مطفأة، شعرت بالسعادة. لقد عوّض اخيراً ما فاته من النوم، وهذه الليلة كان يبدو اكثر انتعاشا. فكان يبتسم دائما، بينما بدت عيناه أقل تعبا. وسرها كثيرا ان تدرك دورها في هذا.

كانت تهتم به أكثر من اللازم، سامحة لمشاعرها بالإنخراط في ذلك بشكل بالغ العمق. ذلك أنه لم يكن لديها الإرادة الكافية لمنع نفسها من ذلك.

قالت بيكا بينما خالها يتوجه بالسيارة نحو منزل ميغان:«أرجو ألا يكون دستي وأمبر قد خرجا من خلال السياج.»

فقال سام بجفاء:«بالنسبة الى البدانة التي اصبحا عليها، لم يعد ثمة مكان يسعها إذا أرادا حشر جسديهما.»

فابتسمت ميغان، فقد كانت تسلية الطفلين الآن، هي في إطعام الجروين على الدوام.

سألت بيكا حالما اوقف سام السيارة:«ايمكننا، وبرايان، ان نلعب مع الجروين اثناء ادخالكما المناضد؟»

قالت ميغان وهي تخرج الطفل من السيارة:«طبعاً. انما فلندخل المنزل من الباب كي لا يهربا من بوابة السياج.»

فركضت بيكا الى الباب الأمامي داخلة المنزل لتفتش كل زاوية منه، ثم تخرج من الباب الخلفي.

حدقت بيكا الى الجرو:«من أين احضرت هذا يا دستي؟»

نظرت ميغان لترى الجرو يحمل في فمه غصناً مورقاً، ثم لاحظت البراعم الصغيرة. وشهقت بعد إذ ادركت نوع ذلك الغصن الذي ألقاه عند قدميها. اخيرا، تمكنت من النطق، فقالت:«يا لك من كلب سيء.»

فخفض رأسه قليلاً، ولكن لم يبد عليه الإهتمام بغضب ميغان التي كانت تقول:«بيكا، هل لك ان تراقبي أخاك، من فضلك؟»

وضعت الطفل على الأرض، ثم اختطفت فسلية الأضاليا. كان مهشمة بحيث لا يرجى لها إصلاح، وبين الأنين والتأوه، ادخلت ميغان الفسيلة الى الداخل، ملقية بأجزائها التالفة في القمامة وهي تشعر بالأسى، ثم خرجت لكي تساعد سام الذي كان قد سبق وأدخل المناضد الصغيرة، ثم أخذ ينزل منضدة المطبخ الرئيسية والكراسي.

ألقى عليها نظرة طويلة متفحصة، ثم سألها:«هل جرى لك شيء؟»

«دستي، لقد أكل إحدى فسائل الأضاليا.»

«هل أكل نباتا؟»

قالت:«لست متأكدة مما إذا كان أقتلعها، أم حفر حولها ثم أخرجها. إذ لم أحتمل النظر إليها.» ومدت يدها الى المنضدة، وإذا بها تشهق بذهول وهي تقول:«وماذا لو كانت الفسيلة مسمومة؟»

ففكر في الأمر:«ان بعض النباتات يرشونها بالمواد، كما أعلم، ألم تحضري اسماء بعض الاطباء البيطريين من المتجر؟»

«نعم، انٍ لدى واحد منهم رقماً للطوارىء ايضاً، فلندخل هذه اولا، وبعد ذلك سأتصل به.»

وعندما وضعا المنضدة في المطبخ، قالت:«فلنلق نظرة على سرير دستي الخيزراني.» وفتحت باب غرفة الغسيل. كانت قطع الخيزران والحشية متناثرة في انحاء الغرفة.

«انظر ماذا فعلت أمبر، يا دكتور.»

فرفع حاجبيه قائلا:«آه، ولكن هل بإمكانك ان تبرهني على ان أمبر هي التي فعلت ذلك؟»

«لقد كان جروي مستلقياً على البطانية في الزاوية، نائماً بينما جروك في وسط الغرفة وما زالت في فمها قطعة من الخيزران. انني ما زلت أذكر كيف كنت انت تشتمها لأنها فعلت نفس الشيء بالنسبة الى سريرها نفسه.»

ارتسمت على وجهه ابتسامة صبيانية:«لا أدري لماذا وافقت على قبول هذين الحيوانين المزعجين.»

«لقد جاءت إلينا بيكا في لحظة ضعف، وما دمنا نتحدث عن ابنة أختك...» واستدارت تنظر خارج الباب.

«سام انظر.»

كانت بيكا وبرايان جالسين على العشب مع الجروين. وبدا ان بيكا تجري مع دستي حديثاً في منتهى الأهمية. اما أمبر فكانت تركض حول برايان وكلما ازداد ضحكه، كلما اشتد دورانها.

قال سام وهو واقف خلفها:«هذا المشهد صالح للتصوير.»

فقالت:«إنه يجعل الأمر يستحق ما نعانيه من انزعاج.» واتجهت نحو الهاتف تطلب الطبيب البيطري.

قالت له وهي تضع سماعة الهاتف:«يقول الطبيب ان هذا لن يميت الكلب، ولكن ربما يجعله مريضا، وهذا يعتمد على المقدار الذي دخل جوفه.»

فقال:«ان الأحمق الصغير يستحق هذا.» ولم يكن يبدو على وجهه سوى القليل من العطف على الحيوان.

فنظرت إليه قائلة:«إنه لا يعرف ما يفعل، يا سام. كان عليّ ان اتوقع مثل هذه التصرفات.»

«لا بأس، والآن علينا ان نضع سياجاً حول الحديقة ونحضر سريرا جديدا لدستي ونجد طريقة لمنع أمبر من تناول طعامها اليومي من الخيزران.»

وسرعان ما وقعت نظرات بيكا عليهما وهما ينظران إليهم، فركضت الى الشرفة تخاطب ميغان:«ان دستي أسف جدا، في الواقع، يا ميغان.»

«إذن، فقد صفحت عنه.»

فقال سام بصمت لا يسمعه سوى ميغان:«انك متساهلة جدا معه.»

تجاهلت ملاحظته هذه وقالت:«سأدخل الجميع الى المنزل، وبعد ذلك اساعدك في تثبيت المنضدة.»

وببطء تركها تذهب... وهو شيء أخذ يجده أكثر صعوبة في كل مرة يضطر إليه.

لقد فكر في اشياء كثيرة وهو يركب يجمع الطفلين

ويأخذهما الى المنزل ثم يضعهما في سريرهما، ولم يكن هو الوحيد الذي كان يفكر في ميغان، فقد استغرق حمل بيكا على الهدوء، وقتاً طويلاً إذ كانت لا تنفك عن الثرثرة عن مبلغ ما كانت عليه ميغان من حسن الخلق وهي تصفح عن دستي، دون ان تلقي بأمبر خارجاً، لتحطيمها السرير الخيزراني.

ميغان... وأغمض عينيه وهو يتصورها حاملة برايان، ضاحكة مع بيكا، وتشاركه ابتسامة خاصة.

لقد فهم انها كانت تحاول جهدها ان تجعل حدوداً في صداقتهما،كما ان عليه ان يقوم بنفس الشيء هو ايضا.

كان مسروراً تماماً لموعد العشاء مع ميغان الذي حصل عليه لقاء سماحه بإبقاء أمبر مع دستي اثناء الليل. وقرر ان يتبع الرقص العشاء. وهو لن يخبر ميغان بذلك إلا في آخر لحظة كي لا يكون في وسعها الرفض.

الفصل العاشر

اخذ سام يراقب بعصبية غير عادية ميغان وهي تقطع اللحم في طبقها ثم تتناول منه اول قطعة، ولم يشعر بالارتياح إلا بعد ان اعلنت ان الطعام شهي حسن الإعداد.

كان يريد كل شيء في هذاالمساء ان يكون خاصاً لا ينسى، كانت هذه الليلة وابتسامتها تشرق عليها، هي أهم شيء مر عليه في حياته.

سألته لتجعله يدرك أنه بقي طويلاً يحدق إليها:«كيف وجدت طعامك؟» ولكن لم يظهر عليه انه سيحول عينيه عنها هذه الليلة.

«رائع، انه رائع.»

فقالت:«ان جو هذا المكان قد اعجبني كثيراً.»

ابتسم مسرورا وهو يقول:«ان هذا المطعم مشهور في مدينة كنساس بجودة لحم البفتيك الذي يقدمه.»

كان مسرورا لعدم تغير المكان منذ شهور حين كان هنا آخر مرة، ولكن جلوسه امام ميغان بدد كل شدة وصعوبة الستة أشهر الماضية التي مرت، وكأنها لم تكن.

سألته:«إذن، فإن بيكا رضيت بتركك لها هذه الليلة؟»

«افضل من السابق. ولكنني اشك في انها من الممكن ان ترضى تماما، في داخلها، يوما ما.»

«هذا مفهوم. ربما وجود الكلبين هناك سيلهيها عن التفكير، فلا تقلق كثيرا.»

ابتسم قائلاً:«انها تنوي ان تتحدث إليه جدياً عن نبشه في حديقتك.»
فضحكت ميغان:«لقد اخبرتها ان الجراء ستبقى جراءً. ولكنها تشعر بمسؤوليتها نحو ذلك بشكل جدي تماما.»
«ينتابني القلق احياناً بالنسبة الى شعورها بالمسؤولية بشكل أكثر مما يلزم. وربما الظروف التي مرت بها جعلتها تكبر بسرعة.»
«آه، اظن انه لا يزال فيها الكثير من الطفولة ولكنني اظن القلق هذا هو شيء طبيعي.»
«اظن ان هنالك قاعدة تقول ان الشعور الزائد عن الحد بقلق لا لزوم له، هو من متطلبات الأبوة.»
«هذا بالإضافة الى روح النكتة.»
فبان الدفء في ابتسامته وهو يقول:«ثم شخص يتحدث إليه المرء، شخص مميز.»
شعرت ميغان بذلك الدفء يكتنفها، ويمتحن ارادتها... وما اضعف هذه الإرادة بالنسبة الى هذا الرجل الذي كان الدفء المنبعث من عينيه يثير فيها شعورا بعدم الارتياح.
سألته محاولة تغيير مجرى افكارها:«كيف حال المريضة في المستشفى؟»
أجاب:«انها تتحسن، وهي قلقة على اولادها. والتفكير في شيء خارج نطاق ذاتها هو بداية حسنة.» ونظر في عيني ميغان. «انه ليس شيئا من عادتي القيام به، ولكنني تحدثت اليها عن صعوبة ما تعيّن علي فجأة من

القيام به من دور الأب، وانني ما كنت لأستطيع مواجهة طور التسنين عند برايان لولا صديقة. لولاك انتِ.»
فتحت عينيها بدهشة:«أنا؟ ولكنني لم افعل شيئا.»
«لقد كنت موجودة تستمعين اليّ وتتعاطفين معي.»
«نعم، ولكن أي شخص...»
«كلا، ليس أي شخص، ان اكثر اصدقائي كانوا يكتفون بالتفرج عليّ قادما وراكضا هنا وهناك... انني اريدك ان تعلمي كم اقدر صداقتنا وكم أنا مسرور لكونك دخلت حياتي، يا ميغان ماكليستر.»
«سام... أنا... انك صديق طيب جداً.»
تأوه في اعماقه لتأكيدها على كلمة صديق تلك، كانت تجاهد في سبيل ان تحصر علاقتهما بين تلك الحدود الآمنة التي اتفقا عليها.
«دعينا نرقص.»
فطرفت بعينيها:«نرقص؟»
قالت راجية ان يغير تذكيره بابنة أخته، عقله:«ولكن بيكا...»
«لقد اخبرتها بأنني سأتأخر عن العودة الى البيت كما اخبرت والدي جيل جليسة الاطفال بأنني لن اعود الى البيت باكرا.»
كان في هذا، الرد الحاسم لأي اعتراض قد يبدر منها، كما احست ميغان، ما عدا ذلك الذي لم تجد القوة لكي تعبر عنه بالكلمات.
لقد ادركت المتاعب التي تواجهها وهي ترى تلك العينين الزرقاوين الضاحكتين والابتسامة ذات الغمازتين، ولكن

هذه الليلة فقط، ستتوقف عن التفكير بالمستقبل، قالت ببطء:«لا بأس.»

لم يكن لديها فكرة عن الوقت الذي مر عليهما بين الرقص والجلوس في احدى الزوايا يرشفان القهوة الايطالية المثلجة ويتحدثان. كان كل ما تعرفه انها لم تكن تريد ان تستبدل وجودها هنا مع سام، بأي مكان آخر.

كانت الساعة تقارب الثانية صباحا عندما أوقف السيارة امام منزله، وسار مع ميغان يوصلها الى باب منزلها. وحين وقف امام الباب، قالت:«ارجو ان لا تكون بيكا مستاءة.»

فقال سام:«كان من الممكن ان تكون اكثر استياءً لعدم احضارنا لها مثلجات. ولكن بما ان الانوار كلها مطفأة ما عدا ذلك الذي في غرفة الجلوس، فلا بد انها الآن مستغرقة في النوم.»

«أليس تأكدك هذا راجعاً الى انك اتصلت بجيل، جليسة الاطفال، حين ذهبت الى استراحة الرجال؟»

قهقه سام ضاحكا:«ها قد اوقعتني.» قال بلطف بعد لحظات:«غدا سنذهب الى حديقة الحيوانات.»

وكانت قد اصبحت داخل المنزل، بعد ان ذهب سام، عندما اخذت تفكر في ما إذا كانت مشاعرها تتغلب على كل تعقل عندما عندما يكون سام موجودا.

* * *

ذات يوم سيحطمها الألم، هذا ما كانت ميغان تفكر فيه وهما يدخلان الى الغابة الاستوائية، وذلك عصر اليوم التالي. سيحطمها الألم، وسيشتت كيانها

عندما يقابل سام امرأة اخرى لتشاركه حياته. انها تدرك الآن إلى أي حد بلغ اهتمامها بسام وأسرته. ان الطريقة التي يتوسل اليها برايان بها في ان تحمله، والطريقة التي كانت بيكا تتلقف بلهفة، كل كلمة تنطق هي بها، والطريقة التي يبتسم بها سام لها، كل ذلك كان يجعلها تشعر بالضعف، والدوار.

ماذا ستفعل إزاء هذا كله؟ لم يكن ثمة مجال للعودة الى الوراء، ولا حكمة في التقدم الى الامام. كانت تعلم كل هذا، ومع ذلك لم تستطع تغيير مشاعرها.

كانت تحمل برايان بينما هو يشير الى الطيور النادرة، محاولا تقليد اصواتها، عندما ادركت فجأة السبب الذي يمنعها من ان تخبر سام عن العملية الجراحية التي كانت اجريت لها فلم تعد تستطيع الإنجاب. ذلك انها بالاحتفاظ بآخر جزء من احزانها لنفسها، كانت ترجو ان تبقى على مسافة قصيرة من المشاعر بينهما لا يتجاوزانها، ولكنها لم تفلح في ذلك.

كما أدركت ايضا ان وراء اخفائها هذا الأمر، سبباً انانيا تماما. لقد كانت تريد ان تطيل، ولو قليلا، من أمد العلاقة بينهما. فهو سيتركها حالما يعلم الحقيقة وهذا ما لا تستطيع احتماله.

قال سام وهو يدغدغ برايان تحت ذقنه بولع بالغ:«إن جسم هذا الصغير يثقل يوما بعد يوم، هيا، يا طفلي، الا تريد ان تجلس على كتفي؟»

فاندفع برايان من بين ذراعيها الى ذراعي خاله. وما ان وضعه هذا على كتفيه، حتى اخذ الطفل يعبث بشعره،

فأدار سام رأسه وهو يزجره ضاحكاً:«ايها الخبيث.»
فقالت بيكا ضاحكة:«انا علمته ان يفعل ذلك.» فأخذ يسرح شعره بأصابعه وهو يقول ضاحكا:«يبدو انك مزهوة بنفسك لهذا.»
كانت ميغان تنظر إليه وهو يبتسم لها... يا لغبائها إذ تحبه الى هذا الحد.
وفجأة، رأى سام وجهها يتملكه شحوب بالغ... وشهق قائلا:«ميغان، هل انت بخير؟»
فلم تجب، كانت تحدق فيه فقط، او بالأصح، تحدق من خلاله. كانت نظراتها خالية من التركيز. فأمسك بذراعها يقودها الى مقعد حجري.
ناداها مرة أخرى:«ميغان.»
عند ذلك طرفت بعينيها، ثم ازدردت ريقها بصعوبة وهي تتنفس بعمق. عاد الى وجنتيها لون خفيف، وقالت بصوت أقرب من الهمس:«انني بخير.» ولكن سام لم يقتنع. فقالت:«حقيقة.» ومنحته ابتسامة مرتجفة. «لقد اضرت بي الرطوبة هنا. هذا كل شيء.»
فقال وهو ما زال يمعن فيها النظر:«ربما انت مرهقة كذلك. لقد جعلتك تسهرين اكثر الليل، ثم بعد ذلك احضرتك الى حديقة الحيوانات...»
كانت بيكا قد ركضت قليلا في الممر الاسفلت، ثم عادت تعلن:«انا جائعة.»
فقال سام:«ان الطعام هو فكرة حسنة... لقد تجاوزنا وقت الغداء.» هذا رغم ان الطعام كان آخر شيء ترغب ميغان فيه.

عندما سمع برايان أخته تقول ذلك، أخذ يرفس بقدميه، ثم يضرب سام على رأسه.
قال سام:«ان الطعام هو كلمة سحرية بالنسبة الى هذا الطفل، انه يريد الغداء، وفي هذه اللحظة.» أحضر علبتين تحويان زبيبا دفعهما الى الطفلين، ثم احضر علبة اخرى لميغان مصرا عليها ان تتسلى به الى ان يجدا مكانا يبيع الطعام.
وفي أول مكان وجداه، قال وهو يتفحص قائمة الطعام:«يبدو انه ليس أمامنا سوى الهمبرغر او لحوم محفوظة مقلية.»
فصاحت بيكا:«هامبرغر.»
ألقى سام على ميغان نظرة سريعة وسألها:«اربعة هامبرغر؟»
اومأت موافقة، ثم اتجهت بالطفلين الى احدى الموائد، بينما تحول هو ليطلب ما يريد من البائع.
كان الوقت عصر أحد الأيام من فصل الربيع، وقد اجتذبت حديقة الحيوان هذه التي كانت جددت حديثا، حشدا لا بأس به من الزائرين، وبدت، هي وسام والطفلين، كأي أسرة اخرى وذلك مع فارق بسيط وهو أنهم لم يكونوا أسرة.
ليس ثمة كمية،مهما كبرت، من الأماني يمكن إن تجعلهم كذلك. لقد كان دورها في هذا المشهد موقتا ويوما ما ستأخذ مكانها امرأة اخرى. امرأة بإمكانها ان تساعد سام على إضافة وجوه اخرى باسمة الى هذا المشهد.
قالت بيكا وهي تؤرجح ساقيها القصيرتين:«يا ليتنا

احضرنا معنا دستي وأمبر. كان بإمكانهما ان يتخذا اصدقاء من بعض الحيوانات هنا.»

قال سام وهو يضع الطعام على المائدة:«لا سبيل الى هذا. ان هذين الجروين يقومان وحدهما بما يكفي من الازعاج، فكيف لو وجها الدعوة الى اصدقائهما لإضافة المزيد من المشاكل.»

بدت على وجه بيكا خيبة الأمل لكلماته الخشنة هذه.

قالت ميغان وهي تقطع الهمبرغر الى قسمين وتبرده قبل ان تطعمه لبرايان:«سام، انهما ليسا سوى جروين.»

فقال وهو يناول بيكا الهامبرغر:«انهما ليسا سوى جروين، ولكنهما يقومان باكتشافات مدمرة. لا شيء في المنزل او الفناء هو بمنحى عنهما.»

فقالت بيكا:«لقد مضغا حقيبة كتبي.»

سأل ميغان:«انك تذكرين تلك الحفرة العميقة التي حفرها دستي في لصديقتك؟ حسنا، انا واثق من انه، وأمبر، كانا يتآمران لدفن بقايا الحقيبة فيها.»

فقالت ميغان محاولة ان تخفي ضحكها، عبثاً:«انهما تصورا ان العقاب لن ينالهما اذا لم يكن ثمة دليل... والدليل هنا في حقيبة الكتب... فهي الشاهد... أليس كذلك؟»

اجاب:«هذا صحيح.» وأخذ يقضم طعامه بعنف. ثم تابع:«اضحكي اذا شئت، ولكن فكري في انك بوجود هذين الاثنين حولك، ستكونين محظوظة لو امكنك الحصول من انتاج حديقتك على اكثر من غصن من شتلة بازيلا. والآن، على بيكا ان تذهب الى المدرسة

غداً لتخبر معلمتها ان الجرو أكل فروضها المنزلية، ان الآنسة لوبيز ستسخر منها.»

عبست بيكا فيه:«انهم لا يعطوننا فروضاً منزلية في الصف التمهيدي، الا تذكر؟ كانت صورة رسمتها لدستي وأمبر وكنت سأريها للمعلمة.»

فقال:«انني واثق من ان مكتب المباحث الجنائية سيسره الحصول على تلك الصورة ليعلقها على جدار مكتب البريد، مرقمين الأول والثاني على رأس العشرة الأوائل من المطلوبين جنائيا.»

فأفلتت ضحكة من ميغان. كانت تعرف سام جيداً الى درجة كانت تدرك ان تذمره هذا كان في الواقع تنفيساً طيباً عن مشاعره.

قالت:«اظن حان الوقت لكي نسجل الجروين في المدرسة.»

فقال:«نعم، مدرسة عسكرية داخلية للكلاب الجانحين.» ورشف من شرابه، ثم تنهد:«ان هذه الفكرة لن تنجح. فالجروان سيطردان قبل ان ينتهي الأسبوع.»

قالت ميغان:«ان هذا مضحك، كنت افكر في مدرسة الطاعة التي يذهب إليها الكلب وصاحبه مرة في الاسبوع و...»

سألها مذعوراً:«الكلب وصاحبه؟»

«نتعلم كيف تعطي الكلب أوامر صريحة محددة. ويتعلم الكلب كيف يطيع.»

«أوامر مثل: اذهب بعيداً ولا تعد ابداً؟»

شهقت بيكا وغصت بشرابها، فأخذت ميغان تربت

على ظهرها الى ان همد سعالها. ثم قالت تلح على سام:«اخبرها بأنك تمزح، يا سام.»

«كنت اغيظك، يا حبيبتي.» قال ذلك بلطف وهو يعبث بذوائب شعرها.

«ولكنك غاضب جداً على الجروين للتمزيق الذي احدثاه في حقيبة كتبي.»

قال:«ليس بالضبط. انه ليس الا جرواً صغيراً مثلما برايان هو صغير. وانت تعلمين كيف ننتبه دوما الى ان لا يمد يده الى اشياء قد تضره.»

فأومأت قائلة:«انه يضع كل شيء في فمه.»

«وهذا ما يفعله الجروان بالضبط.»

قالت ميغان:«ربما عليك، إذن، ان تجدي مكاناً تضعين فيه حقيبة كتبك. وغداً صباحاً سأتصل هاتفياً بشأن الدخول الى مدرسة الطاعة.»

أشرق وجه بيكا:«هل بإمكاني الذهاب معهما.انا ايضاً؟»

فضحك سام:«يبدو لي ان هذه خطة مدبرة.»

فكر مسروراً في انها خطة حسنة تماماً حيث انها تضمن له ان يخرج مع ميغان مرة في الاسبوع لحضور تلك المدرسة. ثم سيكون هناك قسم التدريب بطبيعة الحال.

وبالنسبة الى غباء وبلادة ذهن الجروين فإن تدريبهما سيأخذ وقتاً طويلاً، وهذا يعني امسيات كثيرة وعطلات اسبوعية يمضيها مع ميغان.

وبينما تابعوا جولتهم في حديقة الحيوانات، لاحظ عليها

الاستغراق والهدوء، وكان مسروراً لكونه اول من أراها بعض نواحي مدينة كنساس، وأول من رأى عينيها تتألقان وهي تستوعب كل هذا. وشيئاً فشيئاً، ابتدأت ميغان تستعيد حيويتها وحماسها، ما شعر معه سام بالرضى رغم استغرابه لهذا الشحوب الذي اعتراها في الغابة الاستوائية.

كلما كثر وجوده معها، إزداد ادراكه بأن ما يشعر به نحوها كان شيئاً جديداً عليه ومختلفاً عن كل ما عرفه من قبل، تماماً كمن يلقي بنفسه في تيار في نهر دون زورق يركبه او سترة نجاة يرتديها، انها مغامرة عجيبة زادها إثارة تفكيره في ان ميغان ربما تشاركه فيها.

وكانت هذه الفكرة ما تزال تتملكه وهم ينهون طوافهم في الحديقة، ثم وهو يضع الطفلين المرهقين داخل السيارة لكي يذهبوا الى مطعم لتناول العشاء، ومن ثم الى المنزل.

وعندما اوقف السيارة، كان يفكر في انهم أمضوا يوماً رائعاً. ورفع بيكا التي كانت متعبة حقاً، حيث أخرجها من السيارة، بينما كانت ميغان تحاول إخراج برايان الذي كان نائماً. وعندما رأى الطفل متكوماً على صدرها، شعر سام بشوق لا يصدق وهو يراها تحمل طفله... طفلهما.

صعد خلفها على درجات منزله وهو في حالة ذهول، ثم فتح الباب، وفي الداخل وضع بيكا على الأريكة. استدار إليها، وهو يقول:«اتريدينني ان آخذه منك؟»

هزت رأسها قائلة:«اظن بإمكاني تدبير الأمر، ربما

من الافضل ان لا أوقظه بمحاولة الباسه بيجامته.»
فقال:«فكرة طيبة.»
قالت بيكا وهي تتثاءب:«أرى نور ماكينة الإجابة في الهاتف يومض.»
تقدم سام يضغط على الزر وسرعان ما انبعث صوت يقول:«سام، هنا بول فلتشر.»
إنه محاميه، أتراه يعمل في العطلة الاسبوعية، وتابع الصوت:«انا اعلم ان اليوم هو الأحد، ولكن لدي خبرا انت بانتظاره، وأظنه جاء نهار الخميس. فقد كنت في جوبلين وعند عودتي وجدت هذه الاوراق قد وضعتها السكرتيرة على مكتبي. الموضوع هو ان اوراق قضية الحضانة هي الآن على مكتبي وانك اصبحت الان ابا بنظر القانون. اهنئك. يمكنك ان تمر عليّ في المكتب غداً، محضراً معك السيكار المفضل عندي.»
أخذ قلب سام يخفق بشدة:«ألقى نظرة على بيكا التي كانت تراقبه مقطبة جبينها باستفهام.
«هل قال القاضي ان بامكانك ان تحضننا، انا وبرايان؟»
«نعم، لقد قال ذلك.» وأمسك بيدها الصغيرة بين يديه وحدق في عينيها الزرقاوين الكبيرتين. «ما رأيك في ذلك؟»
«سعيدة.»
فلاحظ شيئاً من التردد في صوتها، فسألها بلطف:«وماذا ايضاً؟»
تنفست بعمق، قائلة:«وماذا عن بابا الحقيقي؟ وماما؟»

«ماذا عنهما؟» كان يريدها ان تنطق بمخاوفها وبهذا لا يبقى ثمة مجال لعدم الفهم بينهما.
«هل سيغضبان لأن بابا لن يعود بابا بعد الآن؟» لم يكن هذا التعديل الجديد لوضعهم الحياتي، سهلا لكليهما، خصوصا بالنسبة الى بيكا، كان ثمة الكثير مما لا تستطيع فهمه، فجلس بجانبها على الأريكة، ثم رفعها ووضعها على ركبتيه. «ان والدك ووالدتك سيبقيان لك طول الحياة باب وماما، وليس هناك قاضي يمكنه تغيير ذلك. ابدا. ولكن ليس بإمكانهما ان يكونا هنا ليتحدثا إلينا، او للعناية بك وببرايان.»
«هل لأنه كان عليهما ان يموتا؟»
أجاب بصبر:«بالضبط.» طالما تطرقا إلى هذا الموضوع من قبل، ولكنه على استعداد للتطرق إليه مرات كثيرة، لكي يجعلها تشعر بالإرتياح لهذا الوضع. وتابع قائلا:«وهكذا طلبا مني العناية بكما.»
«وعليك ان تربينا لأنهما غير موجودين؟»
«وأيضا لأنني اريد هذا. يمكنك ان تعتبريني بابا رقم اثنين. ان عليّ ان اكون والدك قانونيا لكي يمكنني ادخالك المدارس وآخذك الى الطبيب وكل هذه الأمور التي يقوم بها، عادة الأباء والأمهات نحو اولادهم.»
بقيت صامتة فترة بدت لسام دهرا، وقد أسندت رأسها ذا الشعر الأشقر الجعد الى صدره. وأخيراً لم يعد يستطيع احتمال الصمت اكثر من هذا، فقال:«بيكا.»
كانت هذه الكلمات اصعب ما عليه ان ينطق بها، كان متأكدا من ذلك، ولكن لا بد من النطق بها. «بيكا،

ليس عليك ان تناديني بكلمة بابا إذا كان هذا يجعلك حزينة.»

رفعت نظراتها إليه، وعيناها مغرورقتان بالدمع، وقالت:«انني مشتاقة الى بابا، بابا الحقيقي. ولكن إذا لم يكن بالإمكان ان يكون هو وماما هنا، فأنا اريدك انت.» وألقت بذراعيها حول عنقه تضمه بشدة، وفمها قريب من أذنه، وقالت:«احبك يا بابا.»

فكر سام وهو يبادلها العناق، بهذا الحب الأبوي غير المشروط، ولم يكن يتمنى سوى ان يعيش ليحقق كل توقعاتها منه...

قال وقد خنقته غصة:«وأنا ايضاً احبك، يا صغيرتي.»

بعد دقيقة، رجعت بيكا برأسها الى الخلف لتحدق إليه. ابتسمت له هذه الطفلة الجميلة والتي أصبحت الآن طفلته، ثم أسندت جبهتها الى جبهته محاولة النظر في عينيه. وضحكت بينما ذراعاها ما زالتا حول عنقه وهي تقول:«بابا.» وضحكت مرة اخرى.

«ابنتي.» وضحك بلطف وقد شعر في اعماقه بأن كل شيء سيكون على ما يرام، وقال:«والآن، كل ما نحن بحاجة إليه لكي نصبح حقيقة هو ماما.»

وأدار الاثنان رأسيهما حالما سمعا وقع خطوات ميغان قادمة في الممر، وقالت بيكا بلهفة لدى وقع نظرها عليها:«اعلم هذا، إن بإمكان ميغان ان تكون أمنا.»

الفصل الحادي عشر

أدرك سام ان هذا ما كان يريده بالضبط. ان تكون ميغان بجانبه. تشاركه احزانه وأفراحه، وان يحبها.

سألتهما ميغان وهي تبتسم لبيكا:«ماذا هناك؟»

فقفزت الطفلة من على ركبتي سام، واندفعت نحوها قائلة:«لقد اصبح خالي سام بابا الآن، ونريدك ان تكوني انت ماما.»

نعم، صرخ قلب سام بذلك. فمع ميغان ستكتمل حياته في النهاية. انها هي التي طالما افتقدها.

ثم رأى ما ارتسم في عينيها، عيني المرأة التي يحب، انه الذعر، لقد شعر هو نفسه بشيء من ذلك فقد كانت هذه هي الخطوة الهامة في حياته التي كان ينتظرها، لقد ادركه الحب على غير انتظار، وما زالت المفاجأة تدير رأسه.

احاطت بيكا خصر ميغان بذراعيها:«انني احبك.»

كان قلب ميغان يخفق بالألم، هذا إذن ما كان سام وبيكا يتحدثان فيه عند دخولها،ولم تسمعه، آه، ما الذي فعلت؟ كيف سمحت للأمور بأن تصل الى هذا الحد الذي خرجت فيه عن سيطرتها؟

ولكنها كانت تعلم جواب ذلك. ان وجودها مع سام وطفليه جلب الضحكة إليها. لقد بعث وجودها معهم في نفسها القوة على الاستمرار. لقد جددوا بهجتها في العيش. جعلوها تشعر بالاكتمال والسعادة. والآن، ها

هي ذي انانيتها التي دفعتها الى التشبث بسام وطفليه، في الوقت الذي كانت تعلم فيه انه لا ينبغي لها ذلك، ستبقى هاجسها المؤلم دائما، وكل ما أمكنها النطق به هو:«آه، يا بيكا.» ما الذي تستطيع ان تقوله لهذه الطفلة؟ كيف بإمكانها ان تجعلها تفهم؟ أي كلمة عليها ان تستعملها لتجنبها الألم؟

اقترب سام من الطفلة قائلا:«هيا يا حبيبتي الى النوم.»

فنظرت ميغان إليه، وشعت بشيء يموت في داخلها.

قالت بيكا محتجة:«انا اريد ميغان.»

فقال لها:«ليس هذه الليلة، ان علينا انا وميغان، ان نتبادل حديثا هاما من احاديث الكبار.»

وعندما ابتعد الاثنان في الممر، شبكت ميغان ذراعيها حول نفسها، كان الألم عنيفا يشمل كيانها كله.

كانت هي البداية فقط، عليها ان تخبر سام عن العملية الجراحية التي خضعت لها، ثم عليها ان تدعه يذهب، ولشد ما سيؤلمه ذلك، ثم بيكا... وفكرت ميغان في الأيام والليالي التي عليها ان تمضيها وحيدة تفكر في الألم الذي سببته لهم جميعا. ذلك انها تعلم الآن ان سام يحبها. لقد رأت ذلك في عينيه.

قال وهو يعود إليها:«حسنا، انها في غرفتها الآن، ولكنني لا اضمن الى متى. فهي في منتهى السعادة.»

شعرت ميغان بأول دمعة تنحدر على وجنتيها، وهمست وقد انتابتها غصة:«سام، انني آسفة جدا... آسفة.»

تجمد سام في مكانه. كان على وشك ان يخبرها عن مقدار حبه لها... ولكنها تبكي...

ثمة شيء ما، يفسد هذه الصورة، وعليه ان يعرف ما هو. ولأمر ما شعر بلهفة الى العودة الى وضعهما الأول بالنسبة لهذه الأمور قبل ان تهتف بيكا برغبتها في ان تصبح ميغان أمها.

استجمع شجاعته ثم سألها:«ما الأمر، يا ميغان؟» وانتظر، راجيا، خائفا.

«لم اكن اهدف قط الى ان تصل الأمور بيننا الى هذا المدى.» كانت تريده ان يفهم. فقد أدركت وهي تنظر في عينيه، ما الذي على وشك ان تسبب له، فهي تعرف جيدا ذلك الشعور الذي ينتاب المرء إذا حطم الشخص الذي يحب ويثق به، قلبه وسحقه حتى الموت، «إذا كنت خائفة من انني استعجل الأمور...» ولكن سام كان متأكدا من ان وراء دموع ميغان شيئا اكبر من مجرد استعجاله للأمور.

فقالت بصوت باك:«كان عليّ ان اخبرك من قبل.»

قال برقة:«اخبريني به الآن اذن.» وهو يتمنى ان يكون ذلك شيئا بإمكانها تدبيره.

«عندما جوي... بعد ولادته...» تنفست بعمق ثم قالت:«بعد ذلك...» وانهمرت الدموع بشكل اكثر غزارة، «قال الطبيب ان هناك مشكلة صحية ألمت بي. وكان هذا هو السبب في ولادة جوي قبل أوانه. ثم، لقد حاولوا القيام بكل شيء، لشفائي... وأخيرا لم يجدوا سوى اجراء عملية، عملية... جراحية.»

الآن، اصبح كل شيء مفهوما... هذا ما فكر سام فيه... ذلك الألم في عينيها حين رأت بيكا لأول مرة. وعندما

رأت برايان، عادت إليها كل احزانها. لقد ظهر هذا في نظراتها إليه عندما حملته بين ذراعيها لأول مرة. انما الشيء الذي كان اكثر وضوحا، هو انها لم تثق بسام الى حد يكفي لإخباره بذلك. لقد كان يخبرها عن كل شيء... عن كل مشاكله، ولكنها لم تكن تفعل ذلك.

سألها بصوت دهش نفسه لبرودة نبرته:«ولماذا تخبرينني بذلك الآن؟»

أدركت انه سيكرهها... لقد رأت بداية ذلك في لهجته، ولم تستطع ان تلومه. وأجابت:«اخبرك بذلك بسبب ما قالته بيكا...»

«ليس هذا ما قصدت إليه. لقدقلت إنه كان عليك ان تخبريني من قبل، فلماذا لم تفعلي؟»

«في ذلك اليوم الذي اعطيت بيكا ورفيقتها دروساً في الرسم، قالت انك وعدتها بأخوة وأخوات. فلم استطع ان اخبرك.»

«لماذا؟ لقد اخبرتني بكل شيء آخر... أم ان هذا ليس صحيحا؟»

فسحبت نفساً عميقاً وذراعاها ما زالتا ملتفتين حول وسطها، وحدقت في السجادة وهي تقول:«ليس ثمة شيء آخر.» ولم تحتمل رؤية الألم الذي بدا في عيني سام، فقالت:«انني آسفة جدا.»

فانفجر يقول:«آسفة؟» لقد أخفت عنه أهم جزء مما كانت عانته. لماذا لم تخبره بأن ليس في امكانها الإنجاب؟

وعاد يقول:«آسفة... انني واثق من ان هذا ما كان قاله زوجك حين خرج من المنزل، وما كان قاله الاطباء عندما

اضطروا لإجراء العملية، وعندما لم يستطيعوا انقاذ حياة طفلك. فماذا نفعتك كلمة الأسف هذه منهم؟»

لم يرفع صوته وهو يتكلم، وربما لو كان ثار عليها، لوجدت حجة في الرد عليه بثورة مشابهة. ولكن كل ما امكنها سماعه هو الألم. وهذا ما ستبقى ذكراه في نفسها على الدوام. كان الحق معه. فالأسف لم يخفف ايا من آلامها كما انها لن تبدد آلامه هو ايضا.

رفعت ذقنها، مستعدة لمواجهة نتائج تصرفها:«الحق معك. فليس لدي أي مبرر لعدم اخبارك.»

دس يديه في جيبه، ولكن ليس قبل ان ترى ميغان اشتداد قبضتيه:«انك لم تثقي بي، كنت اظن انني اعني لك شيئاً ذا أهمية، وأن كلامنا يعني شيئاً للآخر. ولكن اظنني كنت مخطئا.»

سمعت الجليد في لهجته. ورأته في عينيه. لم يبق شيء هناك. لو كانت الضراعة تغير من الأمر، لابتلعت كبرياءها وتضرعت إليه ان يصفح عنها، ولكن لا شيء يمكن ان يغير من الواقع الذي هو ليس بإمكانها ان تنجب له الأولاد الذين يريدهم.

مشت نحو الباب، وللمرة الأخيرة، استدارت نحو الخلف بنظرة أمل، كانت تلك العينان اللتان طالما حدقتا إليها بنظرات تشع دفئاً كانتا الآن تنضحان بالغضب الملتهب. وأغلقت الباب خلفها.

اراد سام ان يحطم شيئاً. كيف أمكن لميغان ان تتصرف معه بهذا الشكل؟ ان تحمله على الظن بأنها تهتم به وبالطفلين؟

لكنه ما لبث، بعد شيء من التأمل، ان اعترف بأنها كانت تهتم بهم فعلا. وإلا لكانت ضحكت في وجهه. ولكنها بكت بدلا من ذلك، وكانت دموعها حقيقية، وخلال ثورته، تألم لأجلها اكثر مما تألم لأجل نفسه، ولأجل بيكا ايضا.

بعد زمن يسير، سينسى برايان كل شيء عن ميغان ودورها القصير في حياته. اما بيكا... انها ستتذكر وستتألم. وهي التي ما زالت تحاول اجتياز محنة موت والديها، فكيف بإمكانه ان يشرح لها ان ميغان لا يمكنها ان تسد ذلك النقص في حياتهم رغم رغبة بيكا الشديدة في ذلك.

لقد نسف هو كل شيء حقاً، كيف أمكنه، رغم كل دراسته وخبرته في حقل العلاقات. كيف امكنه ان يغفل قواعد ذلك ويدع ميغان تتدخل في حياتهم الى هذا الحد...؟ هذا الى أنه كان يتطلع الى زيادة صلتها بهم، متشوقا الى قضاء المزيد من الوقت معها أثناء تدريب الكلبين في مدرسة الطاعة؟

أمبر.. ان الجرو ما زال في منزل ميغان. وبيكا ستذهب، قبل الافطار، لاحضار الجرو، كعادتها كل صباح، ليس بإمكانه ان يسبب لها الحزن برؤية ميغان.

لم تكن ميغان وحدها المسؤولة عن تطور الأمور هذا. لقد ادرك هذا وهو يجتاز الفناء الى بيتها. لقد حان الوقت للاعتراف بدوره في كل ما جرى. لقد كان هو البادىء على الدوام، وهو الذي كان يلاحقها، ولكنه كان يظن انهما ينشئان علاقة دائمة. فيا للمهزلة، لقد كان

اهم ما تعلمه خلال سنوات خبرته كطبيب نفساني، هو ان الثقة هي حجر الزاوية في أي شيء دائم. وميغان لم تثق به، تنفس بعمق وهو يقف على مدخل بابها، وذلك لكي يتمكن من تمالك نفسه ويستطيع التفاهم معها لآخر مرة. كان لا بد من هذا.

وعندما سمعت ميغان رنين الجرس، اسرعت بمسح دموعها، لا بد ان سام قد جاء لأجل الجرو أمبر. وكانت قد سبق وأمسكت بلجام الكلب، تريد اعادته الى سام إذا لم يفكر هذا به. كان الاثنان يعلمان ان من الأفضل لبيكا ان لا ترى ميغان كثيرا.

حملت الجرو وهي تغالب دموعها، ثم فتحت الباب..

ابتدأ سام بقوله:«جئت لأجل...» وإذ رأى الكلب بين ذراعيها تابع يقول:«ها انك فكرت بـ...»

فازدردت ميغان ريقها، وقد خنقتها غصة، لقد تلاشت برودة الثلج في عينيه، ولكن لم يكن ثمة أثر لدفء، كان هناك الألم والتصميم... فقط.

قال وهو يتناول منها الكلب:«لم اشأ لبيكا ان تأتي الى هنا في الصباح، في هذه الظروف... حسنا، ما كان ينبغي ان اقول اولا، هو انك لست وحدك الملامة على كل هذا...»

كان على ميغان ان تتوقع هذا منه. كان عليها ان تعلم أنه، حتى في هذا الظرف، لا بد ان يكون عادلا.

فقالت:«شكرا، يا سام.»

فأومأ يقول:«ليس هذا الأمر بيني وبينك، فقط، ان عليّ ان اضع بيكا في الحسبان. ولهذا، اظن من الافضل،

في مثل هذه الظروف. ان لا يرى الواحد منا الآخر بعد الآن.»

«نعم.» وكان هذا كل ما استطاعت قوله.

كانت تظن ان أليكس، زوجها السابق، قد حطم قلبها، ولكن ألمها ذاك لا يقاس بتمزق فؤادها المفجع وهي ترى سام يدير لها ظهره مبتعداً.

* * *

احاطت الوحدة والهدوء بميغان عندما عادت يوم الاثنين من عملها. وخرجت الى الفناء تفتش عن الجرو دستي، ولكن حتى حركات الجرو المضحكة لم تستطع ان تبدد الوحشة التي كانت تكتنف افكار ميغان. وكانت واثقة ان شيئاً لن يستطيع ذلك.

كيف سمحت لنفسها بالوقوع في الغرام بمثل هذا العمق الأحمق؟ بالرغم من كل جهودها، انتهت الى حيث كانت تحاول جهدها ان لا تصل إليه. ألا وهو الألم والوحشة، والأسوأ من كل هذا هو علمها بأنها ليست الوحيدة التي كانت تتألم.

«دستي، ما بك تحفر على الدوام؟» ارتفع صوتها تزجره وهي ترى أخر درجة أمام منزلها. كان في العادة، يثير ضحكها بحركاته، ولكنها، هذه الليلة، كان كل ما تفكر فيه هو انها ستمضي حياتها من دون سام.

وضعت دستي على الأرض، ثم شرعت تسقي ورودها. وهي التي كانت احضرتها تبعاً لبطاقة الهدية من سام. والتي كانت غرستها يوم السبت الماضي، قبل ان يأخذها لتناول العشاء معه في الخارج.

قطع عليها نباح دستي افكارها. ففتحت عينيها لترى بيكا واقفة في الجانب الآخر من السياج، تنظر إليها، ولم تستطع ميغان سوى مبادلتها النظرات. كيف تستطيع استعادة كل ما جنته يداها؟ كل الألم الذي سببته للطفلة. بيكا البراءة الحقيقية، قد وقعت في الوهدة التي حفرها ميغان وسام.

كان الألم والإتهام في عيني بيكا، واضحاً. «يقول أبي ان الشخص عندما يغضب من انسان، عليه ان يتحدث معه عن ذلك.»

كانت ميغان تظن ان لا شيء يمكن ان يؤلمها اكثر مما تتألم الآن. ولكنها كانت مخطئة. «لا بأس.» اجابت بهذه الكلمة وهي تتمنى لو تهرب الى داخل المنزل لتختبىء من نظرة الإتهام التي كانت توجهها إليها تلك الطفلة البالغة خمس سنوات من العمر.

جلست على إحدى كراسي المدخل، منتظرة من بيكا القيام بالمبادرة، وتسلقت الطفلة كرسياً امام ميغان، ثم اخذت تتفرس في حذائها لحظة طويلة. كانت بيكا تحاول جهدها ألا تبكي، كما لاحظت ميغان.

وأخيراً، سألتها بيكا: «لماذا لا تريدين ان تكوني أمنا؟»

لا شيء في حياة ميغان كان قد اعدها للحظة مثل هذه، عندما تواجهها فتاة صغيرة طالبة ان تعلم سبب رفضها، هي ميغان، لها.

«قال إنه كان لديك طفل مرة، قبل انتقالك الى هنا، ثم مات ولا يمكنك الآن ان تنجبي اطفالاً آخرين.»

«هذا صحيح.» تنهدت ميغان وهي تتمنى لو بإمكانها ان

تجد كلمات تخفف من حزن الصغيرة، ولكن لا شيء مما بإمكانها قوله، ذو أهمية وكما كان سام قد قال، فهذا أحد الاوضاع التي ليس هناك كلمات تخفف منها.

«وماذا قال غير ذلك؟»

«قال ان والد طفلك قد تركك ولهذا انت لا تريدين ان تتزوجي مرة اخرى. ابدا.» وعبست بيكا في وجهها.

«ولكنك كنت تضحكين وتبتسمين في كل المحلات التي كنا نذهب إليها معا. ألم تكوني سعيدة؟»

نعم، لقد كانت اسعد مما كانت قط، ومما ستكون بعد الآن. كانت ميغان تعلم هذا وهي تجيب قائلة:«نعم، لقد كنت سعيدة بوجودي معكم.»

«كنت اظنك تحبيننا.»

ما الذي تقوله الاغنية القديمة (انك دوماً تسبب الألم لأولئك الذي تحبهم). ورغم ما بذلته من جهد في ان لا تفعل ذلك. فقد احبت وسببت الألم لأهم الناس عندها.

قالت وهي تختار كلماتها بعناية:«انني احبكم جميعا كأصدقاء حميمين جدا. لقد كنت حزينة جدا عندما انتقلت الى هذا البيت، وأعرتني انت الورق وأقلام الرسم لمساعدتي على نسيان احزاني. انني احبك كثيرا لأنك صديقة مميزة في حياتي.»

وكان كتفا بيكا يرتفعان وينخفضان مع تنهداتها الثقيلة.

«اريد ان نبقى جميعا اصدقاء وبهذا يمكن لدستي وأمبر ان يلعبا معا، ثم بإمكانك ان تعلميني كيف أرسم وأنظم الأغاني. ان بابا ليس ماهرا في هذا.»

وجاء دور ميغان للتنهد. ان رؤيتها لبيكا ولو مرة واحدة

كل فترة، سيجدد آلامها، ويجعلها تفكر في كل ما كان لها، ثم فقدته، وكل ما ليس بإمكانه ان يكون، ولكن احتياجات بيكا لها الأولوية، هل من الأفضل بالنسبة الطفلة ان يحدث الانفصال مرة واحدة، أم انه سيكون أقل ايلاما لو أنها، ميغان، انسلت بنفسها تدريجيا من حياة الفتاة؟

«ان لدي فكرة يمكنك ان تناقشيها مع سام، اعني أباك وتسمعي ما سيقوله، ربما بإمكاني ان اعطيك دروسا في الرسم ونظم الأغاني كل فترة، ثم بإمكان دستي ان يلعب مع أمبر.»

«لا أظنه سيحب هذه الفكرة. انه يقول اننا سننتقل الى بيت جديد وبهذا سيكون لي اصدقاء جدد.»

أحست بغرز سكين في فؤادها إذ تدرك انها لن تراه مرة أخرى ابدا، حتى ولا عن بعد، انها تفهم مبرراته لذلك، ولكن التفكير في انه لم يعد يريد رؤيتها ابدا، وأنه لا يستطيع تحمل وجودها في جيرته، فهذا شيء آخر.

«بيكا.» سمعت الاثنتان نداء سام هذا آتيا من مدخل الباب الأمامي من بيته.

وقفت الطفلة. وللحظة، ظنت ميغان ان بيكا ستعانقها. كانت بحاجة لذلك. بحاجة لأية إشارة، حتى ولو لم تكن اكثر من ابتسامة ضئيلة، تعلمها بأن بيكا قد فهمت وضعها وصفحت عنها، وان الفتاة ستكون على ما يرام. ولكن سام نادى مرة اخرى، فأسرعت بيكا تهبط درجات المدخل ثم تخرج من البوابة، تاركة ميغان في حزنها.

* * *

كان برايان نائماً تلك الليلة، وكان سام قد ساعد بيكا في تدريبها على الكتابة، ثم ارسلها لترتدي بيجامتها. وعندما سرحت شعرها وغسلت اسنانها، عادت إليه، جاهزة لكي يضعها في سريرها. وكانت تحمل في يدها كتاب ميغان.

كان سام يكره النظر إليه ومع ذلك ما زال لهذا الكتاب القوة لاجتذابه في نفس الوقت. إنه يحفظ اغاني الكتاب غيبا، ولكن هذه الليلة التصقت الأغاني في ذاكرته، كانت كل واحدة تحمل ذكرى منها، ذكرى انسجامها السهل الطبيعي مع أسرته. كان ما يزال يذكر بكل وضوح كيف كان شعوره عندما كان يعود الى البيت ليرى برايان في حضن ميغان بينما هي تطعمه من زجاجة اللبن، ويرى بيكا تحتضنها من خصرها لتعلن عن محبتها.

لم يكن فكر قط في أنه من الممكن ان يشعر بكل ذلك الفراغ والوحشة، كأن لا شيء يمكن ان يملأ حياته مرة أخرى، وتمنى لو يخبره شخص ما كيف ستمر به الأيام من دون ميغان.

وماذا عن الليالي؟ لقد بقي الليلة الماضية مستيقظاً وهو يفكر في ان عدم ثقتها به ستدمر كل شيء قد يكونان قد وصلا إليه، التفكير بذلك لم يستطع ان يطفيء شوقه إليها، وعندما تمكن اخيراً من النوم، ملأت صورها احلامه.

وفي عمله، أبدت سكرتيرته ملاحظات عن كثرة ما أخذ يصدر عنه من هفوات، وكذلك زملاؤه ابدوا ملاحظاتهم بشأن عدم امكانه التركيز. وكان يلوم امامهم عدم تمكنه

من النوم جيداً بسبب فترة التسنين التي يمر بها برايان، وذلك فقط لكي يتخلص من تساؤلاتهم.

لم يكن بإمكانه اخبارهم بالسبب الحقيقي، لم يكن يستطيع ان ينطق بكلمة بصوت عال... فيقول إنه في ظرف اسابيع قليلة قد وجد ثم فقد حب حياته. إنهم، عند ذاك، سيتعاطفون معه. ولكنهم ايضاً، سيحاولون اقناعه بأنه سيتعرف الى امرأة أخرى يوماً ما، فقد كان هو نفسه يستعمل هذه المنطق مع الكثير من مرضاه، ومرة أخرى، يفكر في الجواب دون تردد، وهو ان ليس ثمة امرأة سوى ميغان، بإمكانها ان تسد ذلك الفراغ في حياته.

* * *

لمحت ميغان بطرف عينها، صديقاتها الثلاث والعمال المساعدين وهم يراقبون من عند باب مكتبها، وحاولت ان تتجاهلهم وهي تتابع عملها امام شاشة الكمبيوتر. كانت الطريقة التي تتخذها في تكديس المعلومات ستشغلها طوال نهار الغد، وربما نصف اليوم الذي يليه. وقبل كل شيء، كان هناك عشرات الاخطاء في النقل التي وقعت فيها اثناء نسخها الارقام من تسجيلات ستديو بون داس ما جعلها تقوم برحلة اخرى الى هناك لكي تستطيع ان ترى أي حساب هو الخطأ وأيه الصحيح.

لقد مضى اسبوعان وخمسة ايام منذ رأت سام لآخر مرة في ذلك الأحد. وكان من المفروض ان يخفف الزمن من احزانها. ولكن احزانها هذه ما كانت إلا في ازدياد.

إحدى الثلاث الواقفات عند العتبة واللاتي هن كيلي وليز وجلي، تنحنحن بصوت عالٍ، ولكن ميغان استمرت في الضرب على مفتاح الكمبيوتر.

فقالت كيلي:«يظن من يراها ان المدير يريد ان يراجع الحسابات التي تقوم بها بأجمعها وذلك للطريقة التي أخذت تقوم بها مؤخراً.»

والواقع ان إداء ميغان لعملها قد اصبح يستغرق من الوقت ثلاثة اضعافه سابقاً، فالحزن كان يعطلها عن التفكير. كما ان ذكرياتها قد اصبحت اكثر انتعاشا ونشاطا وذلك بدلاً من التلبد والخمود.

قالت جولي ساخرة:«كلا، اظنها قامت بخطأ شنيع تحاول جاهدة الآن، ان تخفي آثاره.»

فقالت ليز وهي تتقدم لتقف خلف ميغان:«اما ما أظنه انا فهو ان هذا العمل يمكنه ان ينتظر.»

فاحتجت ميغان بضعف:«لمَ كل هذا؟» كانت تبدو على وشك ذرف الدموع، وكان البكاء هو كل ما كانت تفعله كما يبدو، واقتراف الاخطاء في العمل.

اجابتها ليز:«إننا نفعل ذلك لمصلحتك.»

* * *

هتفت بيكا وهي تدخل المطبخ:«هناك رائحة غريبة.» آه، انه العشاء. ادرك سام هذا قبل ان يتصاعد الدخان بجزء من الثانية. فأطفأ النار، ثم رفع المقلاة عن الموقد، ووضعها في حوض الغسيل حيث فتح فوقها صنبور المياه بينما مد يده يخرج البطارية من المنبه الذي كان يزعق دون انقطاع.

ودام الصمت الذي تلا ذلك ثانية واحدة قبل ان يبدأ برايان في البكاء. لم تتمكن ايمالين من جعل الطفل الباكي يأخذ غفوة إلا قبل عودة سام من عمله مباشرة. والآن، قد ايقظ هذا المنبه الطفل من نومه. أجلسه على أرض المطبخ بينما اتصل هاتفيا يطلب بيتزا ليأكلوا.

وبعد ذلك ابتدأ يغسل الخضر لإعداد عشاء بدلاً من ذلك الذي كانت تركته له ايمالين في الفرن لكي يعيد تسخينه فلم يستطع القيام، كما يجب حتى بهذا الأمر البسيط. ولكن مثل هذه الأمور قد اصبحت مؤخراً عادة لديه. فمنذ أخرج ميغان من حياته، لم يستقم معه شيء.

استمر برايان في البكاء في الوقت الذي اسقطت بيكا فيه إبريق البلاستيك الذي يحتوي على الصلصة، وذلك أمام الثلاجة، ثم وقفت مرتجفة وسط بركة بنية اللون. وابتدأ الكلب ينبح. بينما تصاعد رنين جرس الباب. وتسمّر سام مكانه وهو يحدّق الى كل هذه الفوضى في المطبخ، وحده. ثم عاد رنين جرس الباب يتصاعد. وأحس بشعور قوي يدفعه الى تجاهل رنينه، فقد كان الوقت لم يحن بعد لوصول البيتزا، كما أنه لم يكن ينتظر احدا.

آه، جوانا لقد نسيها تماماً. واندفع الى الباب ليجدها بصحبة رجل وامرأة في منتصف الثلاثينات من العمر. وتأوه سام في داخله، لقد جاءت جوانا لتعرض منزله للشارين. ولم يكن يعرف كيف نسي هذا. ولكن النسيان اصبح عادة عنده هذه الأيام.

امسك بالجرو الذي كان يتقافز حوله، ثم دعا جوانا ومن

معها للدخول. واستدار ليرى بيكا تدخل غرفة الجلوس. كان جوربها الأبيض قد اصبح الآن ملوثا بالصلصة ما جعلها تترك بصمات قدميها حيثما كانت تخطو على السجادة.

تبادل الزوج والزوجة النظرات. ثم الزوج وجوانا.

قال سام يشرح الأمر:«لقد حدث كل هذا بشكل غير متوقع.» وكان كل شيء، في الواقع، قد أصبح يحدث بشكل غير متوقع.

وتابع يخاطب جوانا:«سيري انت وأريهم المنزل ولا تهتمي بنا.»

ناولها الكلب لبيكا طالباً منها ان تأخذه الى الخارج، ثم تخلع جوربها وتضعه في غرفة الغسيل، ثم سار الى المطبخ ليكتشف السبب الذي جعل برايان يكف عن البكاء.

كان هذا جالساً في وسط بركة الصلصة وهو يخبط يديه في السائل ناثراً السائل حوله، لاهيا ضاحكا.

«وهذا هو الـ...» وتوقفت جوانا التي كانت تقف عند عتبة الباب، عن إكمال جملتها.

استدار سام ليراها، والزوجين اللذين معها، يحدقون الى برايان. وكانت الزوجة تتنشق الهواء الذي ما يزال عابقا بالدخان.

قال سام بابتسامة متوترة:«لقد احترق معي العشاء، ولم اجد وقتا بعد لتنظيف الرماد.»

فقالت جوانا بلباقة:«سنعود فيما بعد.»

تنهد سام وهو يقبض على مجموعة من الورق ثم يأخذ

في امتصاص بركة الصلصة الجالس فيها برايان. ولم يعجب العمل برايان، وأعلن عن استيائه هذا بعويل عال.

فقالت بيكا وهي تدخل المطبخ عارية القدمين، جارة أمبر خلفها:«آسفة لإسقاطي الإبريق.»

اخذ الكلب يشمشم الأرض حول برايان، ثم ابتدأ يلعق بقايا الصلصة. كان هذا هو الشيء الوحيد النافع الذي قام به الكلب حتى الآن، كما أخذ سام يفكر وهو يلقي بكومة الورق المبلولة في القمامة.

قالت له بيكا:«انا اشعر بالعطش.»

إنها طبعاً تشعر بالعطش، فهو لم يكمل نصف مهماته بعد. وسكب لها كوباً من عصير التفاح، ثم حمل برايان. وما ان أخذه الى منضدة تغيير الملابس حتى شعر بأن الطفل حار جدا. ادرك ان سنا آخر في طريقه الى البروز، فالبكاء والتوتر طوال النهار، ثم هذه الحرارة الآن...

تنهد سام مرة أخرى. فهو لم يكن مؤهلاً ليقوم بمهمة الأبوة وحده. ولكن المرأة التي كان يريدها بجانبه، لا تثق به.

الفصل الثاني عشر

«ثلاث قضمات.» اعلنت جولي ذلك عندما دفعت ميغان طبقها من أمامها. «إنكما مدينتان لي بدولارين من كل منكما. هيا إدفعا.»

وتأوهت ميغان عندما اخرجت الفتاتان دولارين لدفع قيمة الشرط الذي لا بد أنهن اتفقن عليه قبل ان يجررنها معهن لتناول العشاء في الخارج.

قالت كيلي:«هذه الآهة الطويلة المتألة هي نوع من الاكتئاب.»

فقالت الفتيات الثلاث في وقت واحد:«إنها آهة عاطفية.»

سألت ليز وهي تضع يدها على يد ميغان:«ألن تحدثينا عنها؟»

فهزت رأسا. كان الامر ما يزال اكثر إيلاماً من ان تتحدث عنه، حتى مع ليز.

فقالت جولي:«حسنا، ان افضل ما يمكنك عمله، هو ان تخرجي الى الناس وتتعرفي الى صديق آخر.»

أضافت كيلي:«صديق رائع ينسيك الصديق الآخر.»

صديق آخر؟ لا شيء يجعل ميغان تغامر مرة اخرى معرضة نفسها لهذا النوع من الألم، مهما كان الرجل رائعا. هذا الى أنه ليس ثمة رجل يمكن ان يقارن بسام. ليس هناك من هو بمثل تفكيره، ولا حنانه، ولا كرمه وحبه.

كانت ميغان تريد ان تذهب بعد الغداء الى منزلها لتجلس وحدها مع الذكريات والأسى. ولكنها لم تكن تملك من أمرها شيئاً وزميلاتها يفقنها عدداً وقد قررن ان تذهب معهن الى السينما. كما ان سيارتها كانت في مرآب المكتب.

وفي ظلمة صالة السينما، تذكرت تلك الليلة التي ذهبت فيها الى السينما مع سام، وجلست بقربه، وفي كل مرة كانت تفكر فيه، كانت تفكر في تلك اللوحة التي أقامها على واجهة فنائه ومكتوب عليها للبيع. وقريباً جداً سيغيب عن حياتها...سيغيب حقيقة.

انتهى الفيلم بشكل ما، وعادت الى المكتب حيث استقلت سيارتها ومن ثم اتجهت نحو منزلها. كان دستي ينتظرها عند الباب الخلفي. وعندما أدخلته. ذهب مباشرة الى الوعائين الخاصين به، حيث شرب اولا، ثم وجه انتباهه بعد ذلك، الى طعامه. وما ان ألقت ميغان بمفاتيحها وحقيبة يدها على منضدة المطبخ، حتى ادركت انها قد نسيت تفقد صندوق البريد قبل ان تدخل الكاراج. وفكرت في ان ترجىء ذلك حتى الصباح، لكنها اعتادت ارجاء امور كثيرة مؤخراً، ولن تفعل ذلك الآن.

وفي منصف الفناء، سمعت صوت باب سام الأمامي يفتح. وكان برايان يصرخ بشكل مخيف. فحبست ميغان انفاسها هناك شيء خطير حقا.

ذكرت نفسها بأن ليس لها ان تتدخل بعد الآن، ولكنها لم تستطع ان تكبح قلقها وهي تسمع صراخ الطفل العنيف.

تناهى الى سمعها صوت بيكا يرتفع فوق نحيب أخيها، وهي تصيح بكآبة:«لماذا علينا ان نذهب الى المستشفى؟»

أجاب سام بحدة وقد ظهر الإحباط في صوته جلياً:«لأن الطبيب هناك.»

فتح باب السيارة وهو يتصارع مع برايان الذي كان يرفس برجليه. وعندما اضاء مصباح السقف، امكن لميغان ان ترى برايان يتلوى ألماً، ويقاوم سام بكل قواه. ولم يستطع سام ان يجلس جسم الطفل الصغير على المقعد بجانبه، إذ كان الطفل يرفسه ويضربه بعنف.

لم تتردد ميغان. فركضت نحو السيارة، وقالت لبيكا:«ادخلي وضعي الحزام، يا حبيبتي.» وكانت هذه تقف مرتدية بيجامتها وخفيها، تراقب المشهد بعينين خائفتين. وصرخت ميغان لكي يعلو صوتها فوق صوت برايان:«سام.»

فاستدار سام يواجهها. ما الذي أتى بها الى هنا، في الوقت الذي هو في أمس الحاجة فيه الى شخص ما؟ بحاجة إليها. كلا. ان ذهنه يرفض هذا بكل قوته. إنه لن يسمح لها بالاقتراب منهم مرة اخرى. ولو لعدة دقائق.

فعادت تقول:«سام. انني أدرك شعورك. ولكنك بحاجة الى يدين تساعدانك، ولا يوجد الآن سوى يدي.»

وكاد يقتلها رؤية الدفء الذي بدا اولا في عينيه، يستحيل الى برودة وألم. كان يبعدها عنه. ولكن لم يكن الوقت يسمح بأن تفكر في آلام قلبها في الوقت الذي كان فيه برايان يتألم.

اخيراً قال سام:«لا بأس. ايمكنك ان تقودي؟ ليس بإمكاني ان اجعله يجلس على مقعد السيارة ولا أظنك من القوة بحيث تستطيعين حمله.»

فأومأت برأسها، ثم ركضت الى بيتها لتحضر حقيبة يدها، ثم عادت راكضة الى السيارة حيث اعطاها سام توجيهاته الى المستشفى بينما كان هو يجاهد في حمل برايان ويحميه من التسبب بالأذى لنفسه. وكانت كل صرخة من الطفل تمس شغاف قلبها.

قالت تسأل سام بعد ان اوقفت السيارة امام المستشفى، ثم ركضوا نحو مدخل العيادة:«ما الذي تظنه يعانيه؟»

«ارجو ان يكون التهاباً آخر في الأذن.»

وخرجت إليهم ممرضة تقول:«قال الدكتور دوسيستر ان ندخلك على الفور.» وسارت بسام وبرايان نحو غرفة المعاينة.

وعندما غيبته والطفل، الأبواب الاتوماتيكية، تنفست ميغان الصعداء لأول مرة منذ سمعت صراخ برايان المتألم وقادت بيكا الى غرفة الانتظار.

قالت لها ميغان:«ان الطبيب سيجعل برايان احسن حالا. وهو سيصبح على ما يرام.» وعندما لم تتلق من الطفلة جواباً، اضافت تقول:«ربما ليس الأمر أكثر من ألم شديد في أذنه.»

فبقيت بيكا صامتة والخوف يكسو ملامحها. وتاقت نفس ميغان لوضع الطفلة على ركبتيها ومواساتها. ولكن لم يكن يحسن من ميغان ان تتلاعب بعواطف الطفلة. ووجدت بعض كتب الاطفال فحملتها الى

بيكا. فأخذت هذه الكتب، ولكنها لم تنظر فيها. عندما تناهى الى مسامعهما صوت صراخ برايان آتيا من غرفة المعاينة، قالت ميغان تخاطب بيكا بلطف:«تحدثي إليّ يا حبيبتي، سيصبح كل شيء على مايرام.»

نظرت بيكا إليها وقد اغرورقت عيناها بالدموع:«لقد ذهب البابا والماما الى المستشفى.»

وما ان سمعت صوت الطفلة الناضح بالألم والخوف، حتى جذبتها اليها تجلسها على ركبتيها وتحتضنها بحنان سواء كان تصرفها هذا خطأ أم صواباً. فالطفلة بحاجة الى المواساة وليس بإمكان ميغان تجاهل هذا.

قالت لها بحنان:«إن اخاك سيكون بخير.»

«هذا ما قاله خالي... أعني بابا عن ماما وبابا الحقيقين.»

فاحتضنتها ميغان بشدة، وعندما تصاعدت شهقات الطفلة، اخذت تهدهدها قائلة:«ذلك أمر مختلف، يا حبيبتي، برايان لا يعاني سوى من ألم في الأذن.»

فرفعت بيكا نظرها إليها وقالت:«ولكن لماذا يصرخ بهذه الشدة؟»

«أحياناً وجع الأذن يكون شديداً، وهو طفل صغير، لا يعرف ما يفعل عندما يتألم، سوى الصراخ.»

فمسحت دموعها بمنديل ورقي ناولته ميغان لها. وهي تقول:«ما زلت اتمنى ان تكوني أمي. سأكون عند ذاك، مسرورة جداً.» اسرعت تقول ذلك قبل ان تدع لميغان مجالا للإحتجاج.

شعرت ميغان بقلبها يكاد يتحطم إزاء هذه اللهفة

الضارعة. لم تكن تريد شيئاً اكثر من تقول نعم. ولكنها لا تستطيع. كيف بإمكانها ان تجعل الطفلة تدرك ان ليس بإمكان المرء ان ينال دوماً ما يريد؟ حتى ولو كان ما يريده أهم شيء عنده في الحياة.

فكرت في مقدار وحدتها، وفي الفراغ الذي ستكون عليه بقية ايامها. وعندما ألقت بيكا برأسها على صدر ميغان اثناء انتظارهما ان يفرغ الطبيب من علاج برايان، حتى اخذت ميغان تفكر في هذا الظلم الذي أحاط بهم جميعاً.

دخل سام إلى غرفة الانتظار حاملاً برايان الذي كان ينشج باكياً، وذلك بعد ساعة ليجد ميغان تحتضن بيكا التي كانت تذرف الدمع. وكان اول فكرة طرأت على ذهنه هي ان ميغان هي بالضبط من هم جميعاً بحاجة إليه.

لكنه قرر بعد ذلك ان شعوره يجب ان يكون الغضب فقط. يجب ان يكون غضبه من ميغان غير محدود. فقد عانى منتهى الصعوبة في الشرح لبيكا سبب عدم إمكان مجيء ميغان إليهم. وعليه ان يبدأ كل ذلك من جديد.

نظرت إليه بعينين مليئتين بالاهتمام وسألته:«هل هو بخير؟»

قال:«التهاب أذن آخر. وهذه المرة في الأذنين.» وعندما رأى نظرة الإرتياح في عينيها تابع يقول:«لقد أعطاه الطبيب إبرة وقطرة قوية للأذن لأجل الألم. وهو سيأخذ له موعداً من الطبيب المختص صباح الاثنين لأنه لم

يستطع ان يدرك السبب في تكرار إصابة برايان بهذا الالتهاب.»

فقالت له:«لقد كانت بيكا قلقة حقاً.»

جلس على المقعد بجانبهما، وأسند برايان الى كتفه، ثم مد يده الأخرى الى بيكا. فتركت هذه حضن ميغان وتقدمت لعناقه. ومن فوق رأس الطفلة، حدّق الى ميغان. فاحتبست أنفاسه للهفة التي شاهدها على ملامحها وهي تراه يحتضن طفليه.

وكذلك للحب الكبير الذي يشعر به نحوها. لقد ازداد شوقه إليها اثناء انفصالهما. الان، بعد هذه اللحظات الثمينة التي ساعدته فيها اثناء أزمة اخرى، لم يعد يدري كيف سيستطيع العودة للعيش من دونها، او كيف بإمكانه ان يعيش وحده، متذكرا، على الدوام، تلك النظرة الكئيبة في عينيها.

وابتدأ برايان، بعد معركته مع الطبيب وعلاجه، بالتململ، ثم البكاء. رفع رأسه فوقعت عيناه على ميغان. وكما فعل في اول يوم رآها فيه، وفي مرات كثيرة بعد ذلك، مدّ ذراعيه يريدها.

ترددت ناظرة الى سام مستأذنة، ليدرك هذا أنه يكره منها هذا التردد. يكره ان يعلم شعورها بعدم استطاعتها مدّ يديها لتأخذ ما تريده وتحتاجه. كان متفهماً رغبتها في عدم إقحام نفسها او التسبب لهم بمزيد من الألم، ولكن تفهمه هذا لم يخفف من تلك الكراهية.

في اللحظة التي وضع فيها برايان بين ذراعيها، إستكان الطفل في حضنها، واضعا ابهامه في

فمه، ثم مد يده الاخرى يربت بها على وجنتها. قالت بيكا:«انظر. ان برايان ما زال يحب ميغان اكثر من كل شيء.»

فحاولت ميغان الإبتسام، ولكنها لم تستطع. فهذه ستكون المرة الاخيرة. المرة الأخيرة التي تحمل فيها هذا الطفل وتراه ينظر إليها بمحبة. المرة الاخيرة التي تواسي بها بيكا بينما هذه في حضنها. المرة الاخيرة التي ترى فيها سام جالسا بقربها، وتسمع نبرة صوته.

سألها وفي صوته رجفة:«هل يمكنك التحكم فيه؟»

فأومأت برأسها لا تستطيع النطق.

وعندما اصبحوا في الخارج، وضع بيكا بجانبه في مقعد السيارة الأوسط، شادا الحزام حولها.

أخذت، اثناء قيادته السيارة، تمعن النظر في جانب وجهه، لتحفظ كل خط فيه عن ظهر قلب.

وسرعان ما كان يركن السيارة أمام منزله. فساعد بيكا على الخروج وترك لميغان لحظة تعد فيها برايان للذهاب الى أبيه، ولكن الحياة بأجمعها لم تكن كافية لتجعلها مستعدة للتخلي عنه. تنفست بعزم، ثم رفعت الطفل بين ذراعيها، ولكن عندما حاول سام ان يأخذه منها، أخذ برايان يصرخ ويضربه على يده.

توقف سام عن الصراع مع الطفل، وأخذ ينظر إليه وهو يعود ليستقر بين ذراعي ميغان. كان الصبي يعرف ما يريد ويعرف ما كانت ميغان تمنحه له... مواساة، اهتمام، حب. نعم، كان الصبي يعرف ما يريد ويعرف كيف يقاتل للإحتفاظ به.

سألها سام دون ان يعرف تماماً لماذا لم يكن يريد ان يدعها تذهب:«هل لك ان تحضريه الى الداخل؟»
تألقت عيناها بالسعادة، ثم ما لبث التألق ذاك ان خبا. أحس سام بأنها تفكر في الوقت الذي سترحل فيه. هل فكرت قط في مقدار الوحدة التي سيشعر هو بها من دونها؟
ساعدها في الترجل من السيارة، ومن ثم دخلا منزله. وبقلب قد سبق وتحطم، سارت ببرايان الى غرفته. ولم يشأ الطفل ان يوضع في سريره، فأخذ يبكي وهو يمدّ لها ذراعيه وقد بدا التوسل في عينيه.
قال سام من خلفها:«ربما إذا اعطيته زجاجته.»
فأومأت، ثم جلست على الكرسي الهزاز، مسرورة بهذا العذر الذي يؤجل رحيلها، وحائرة لرغبة سام في السماح لها بالبقاء.
بعد فترة قصيرة، دخلت بيكا تحمل زجاجة الحليب وهي تقول:«يقول البابا ان بإمكاني ان اقبلك قبلة النوم.»
ولم تفهم ميغان معنى تصرفه هذا. ولكنها كانت مسرورة بأن تأخذ هذه القبلة الناطقة بالحب والحنان من هذه الفتاة الصغيرة الذهبية الشعر، وأمسك برايان بزجاجته، تاركاً ميغان لتحتضن بيكا. ثم رفعت ميغان بصرها لترى سام يراقب هذا المشهد، وقد بان الغموض في ملامحه. لا بد انه يعلم انه بذلك، إنما يجعل رحيلها اكثر صعوبة بالنسبة لكل واحد منهم. ولكنه لم يستعجل بيكا. وعندما قالت تصبحين على خير، إبتعد عن المدخل ليتبعها الى غرفة نومها.

اخذت ميغان تغالب دموعها. فهي لن تفسد هذه اللحظات القليلة الباقية لها بينهم، بالحسرة والندم.
اخذت تملي عينيها من الإبتسامة الناعسة التي منحها إياها برايان، ومن الطريقة التي قبضت بها يده على إصبعها، ثم اخذت تنظر في عينيه اللتين كانتا تغمضان شيئاً فشيئاً.
لم تدرك كم من الوقت مرّ عليها جالسة، قبل ان ترى سام يقف عند المدخل. فاستجمعت شجاعتها كي تدع سام يأخذ الطفل، ولكنه، بدلاً من ذلك، وقف هناك ينظر إليها بجدية تامة لم تفهم سببها.
ثم قال بهدوء:«هنالك شيء عليّ ان اخبرك به.»
فعضت شفتها، منتظرة الكلمات التي ستنهي كل تلك الأوقات الرائعة التي استمتعا بها معاً.
تابع قوله:«لقد بقيت أذرع غرفة الجلوس طوال نصف الساعة الماضية، محاولا مناقشة حبي لك بالمنطق.»
ما الذي كان يقوله؟
فتحت فاها ولكنها لم تستطع النطق بكلمة. وبين ذراعيها كان برايان يرقد بسلام غير واعٍ للخوف والأمل اللذين كانا يتنازعانها.
«حدثت نفسي بأن أي ارتباط يستغرق وقتاً. لقد سبق وساعدت عشرات من الناس في استجماع شتات أنفسهم بعد ان يسقط الواحد منهم منهاراً. وقلت لنفسي إننا لا نكاد نعرف بعضنا البعض...»
فقالت بلطف تحثه:«لكي أثق بك؟»
«نعم. إننا لم نعرف بعضنا إلامنذ... منذ متى، شهر

ستة اسابيع على الأكثر. فكيف حدث إذن ان وقعت في حبك؟»

لم تجرؤ قط على ان تحلم بهذه الكلمات يقولها لها. فنظرت في اعماق عينيه الزرقاوين، شاعرة بنفسها وكأنها تقف على حافة جرف شاهق، ورأسها يدور لعلوّه، وهي تعلم ان عليها ان تقفز عنه.

همست تقول:«لا اعلم، الذي أعلمه هو أنني احبك انا ايضاً. لقد حاولت ألا اسمح لنفسي بذلك. حاولت ذلك حقاً. كنت شديدة الخوف...» تهدج صوتهاوانحدرت دمعه على خدها.

مد يده يأخذ منها برايان، الذي لم يكد يشعر بذلك، ثم يضعه في سريره.

لم يعد ثمة محاولة للسيطرة على تلك العواطف، بعد الآن وتصاعدت خفقات قلب ميغان. ان سام يحبها، ويريدها بنفس الحجم الذي تشعر هي به نحوه. ولكن، هل سيكون هذا كافياً؟ انها لا تستطيع ان تخسره مرة اخرى... لا تستطيع... لا تستطيع.

عندما نظر إليها مجدداً، أدرك انها كانت تبكي. همس لها:«إنني احبك.»

فأجابت:«وأنا ايضاً احبك، يا سام.»

لم تكن تريد ان تبكي، ولكنها لم تستطع التوقف عن ذلك.

سألها:«أهي دموع السعادة؟»

فأومأت تقول:«نعم، وأنا... انا لن استطيع الاحتمال إذا...» وسكتت.

فسألها، ناطقاً بالكلمات التي لم تستطع النطق بها:«إذا تحطم كل هذا؟» وعندما أومأت برأسها، تابع:«وأنا ايضا لن استطيع احتمال ذلك. إذن فقد اتفقنا على ان البقاء معاً هو أهم ما علينا القيام به.»

هتف قلبها، نعم. آه، نعم. ولكن، كان هنالك شيء لم يأت على ذكر. فقالت:«وماذا عن الاولاد؟ إنك كنت أخبرت بيكا انك تريد المزيد من الأولاد؟»

«تزوجيني وسيكون لدينا اثنان... بيكا وبرايان. وإذا لم يكونا كافيين، فهنالك الكثير من الاطفال بحاجة الى الحب والحنان اللذين بإمكاننا، نحن الاثنين، تقديمه لهم.»

شعرت ميغان بقلبها يكاد يتفجر بالسعادة. ولكن لا زال هنالك شيء ضئيل من الحذر يتملكها، «وهل بهذه السهولة ستتخلى عن فكرة الانجاب؟»

«ليس بهذه السهولة. فقد بقيت فترة اتصارع مع هذه الفكرة.» وأطلق ضحكة خافتة تخوي خيبة الأمل، «إنك لا تدركين كم من الأوقات كنت اتصورك فيها تحملين طفلا مني.»

«ولكن هذا لا يمكن ان يحدث.»

«ولهذا سألت نفسي عن مبلغ أهمية ذلك عندي. بالضبط. وفي كل مرة كنت أزن فيها كل الخيارات، كنت اختارك انت.»

«رغم إنك كنت تظنني لا أثق بك؟»

«حسناً، لقد كنت على وشك الدخول في هذا الموضوع. لقد اتخذت هذه النظرية وهي انك ربما في البداية، كان

من الصعب عليك ان تكشفي ما بنفسك لانسان غريب. وفيما بعد... رجوت ان يكون الأمر مجرد خوف منك من ان اتراجع وأتركك.»

«كيف امكنك قراءة افكاري بهذه المهارة؟»

«لقد كنت محظوظا هذه المرة. وفي المستقبل، لا أريد المزيد من الأسرار. اريدك ان تشاركيني بكل شيء عندك، يا ميغان.»

بكل شيء. نعم. هذا ما كانت تريد ان تكون عليه الأمور، هي ايضاً. وسألته مازحة:«اتريد المشاركة حتى في هدايا الاعياد؟»

فقهقه ضاحكا:«انني اريد بهذا فقط ان استخرج من اعماقك كل ما تخفينه.»

فرفعت نظراتها إليه، الى الحب الذي يطل من ابتسامته.

«بابا.» تصاعد هذا الصوت الطفولي من عند الباب.

«انني لم استطع النو... ميغان؟»

فجفلت ميغان بينما سألت بيكا وقد انتابتها الحيرة لبقاء ميغان في المنزل:«هل ستظل ميغان هنا؟»

فقال سام:«تعالي هنا يا حبيبتي.»

قالت وهي تتقدم نحوه:«لم استطع العودة الى النوم.»

«حسنا إذن، ما دمت مستيقظة الآن، هل ما زلت تريدين ان تكون ميغان أمك؟»

اتسعت عينا بيكا بسعادة، ثم ضاقتا بحيرة:«هل ستكون أمي حقا؟ كما كانت ماما؟ وستعيش معنا هنا؟ وكل شيء؟»

فأومأ سام:«لقد كنت على وشك ان اطلب منها ان تتزوجني.»

قفزت بيكا فرحة وهو يقول:«تزوجينا كلنا. قولي نعم، يا ميغان. قولي نعم.»

قالت ميغان ضاحكة:«نعم. سأتزوجكم كلكم.»

ألقت الطفلة بذراعيها حول عنق ميغان:«لا استطيع الانتظار حتى الصباح لكي أخبر فرانسي بأنه سيكون لي مرة اخرى ماما وبابا. وإنه ليس على ميغان الآن ان تشتري اثاثا.»

فنظر سام وميغان الواحد منهما الى الآخر وضحكا.

هز سام رأسه بعجب:«لقد كانت فكرت في كل شيء.»

ألحت عليه بالسؤال:«ايمكنني ان اخبر فرانسي؟»

فقال لها:«عند الصباح. انما فقط إذا ذهبت الى سريرك ورقدت تماما بظرف خمس دقائق.»

فأسرعت الى غرفتها. وعند الباب توقفت لتقول:«هل ستكون ميغان هنا عندما استيقظ؟»

فأجابها:«نعم. ستكون هنا.»

وعندما اصبحا بمفردهما، قالت ميغان:«أليس لي ان اقول شيئاً في هذا الأمر؟»

«يمكنك ان تقولي ما تشائين.»

ولكن ما ان انتهى من كلامه، حتى أخذ برايان بالبكاء مرة اخرى. فأخذ يزمجر حين اندفعت ميغان لتحضر الطفل المسكين. قال وهو يتبعها الى غرفة برايان:«ليست هذه هي الطريقة التي اردت بها الاحتفال بزواجنا.»

فابتسمت وسألته:«هل ستأتي إيمالين صباح الغد؟»

قاوماً، ثم اشرق وجهه: «هل تفكرين في الذي أفكر انا به؟»

«ان بإمكاننا الذهاب لعقد زواجنا؟»

استقرت ميغان في الكرسي الهزاز وهي تحمل برايان بين يديها بحنان.

تمت

WWW.REWITY.COM
مرمورية